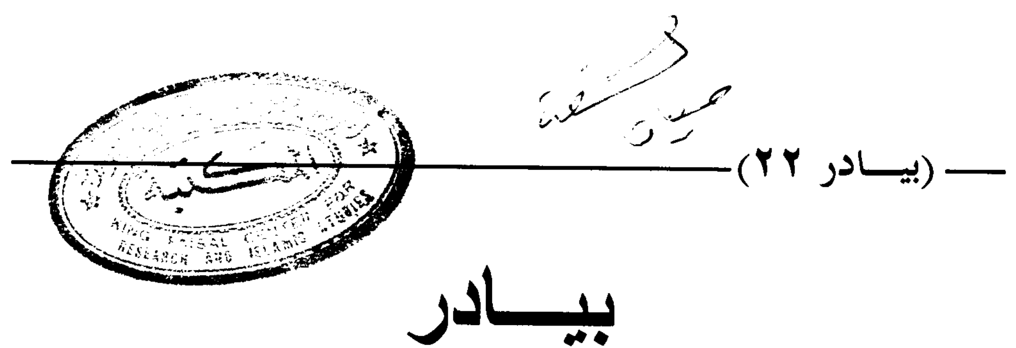
بسم الله الرحمن الرحيم



بيـــادر

ملف ثقافي إبداعي يصدر عن نادي أبها الأدبي

العدد الثاني والعشرون . رمضان ١٤١٨هـ /١٩٩٨م

نادي أبها الأدبي - أبها - ص.ب ٤٧٨ - تليفون : ٠٧٢٢٤٤٢١٠

فاكس : ٠٧٢٢٦٢١٦٥ - المملكة العربية السعودية

PUBLISHEDBY ABHAH LITERARY CLUB P.O Box : ٤٧٨

Tel : ٠٧٢٢٤٤٢١٠

Fax: ٠٧٢٢٦٢١٦٥ ABHA . SAUDI ARABIA

رقم الإيداع : ١٤/٠٠٥٣

ردمك : ١٣١٩ - ٣٥٠ ISSN



محتويات العدد الثاني والعشرين من ملف النادي بيادر

إشارات

* يتجدد العهد مع القارئ الكريم بهذا العدد الحافل بكثير من المواد المتنوعة التي حرصنا على أن تشكل وجبة ثقافية دسمة تجسد أهداف النادي في الأخذ من كل فن بطرف .

* والجديد فيه كذلك قراءة تاريخية في سيرة أحد رجالات (أبها) والذي انتقل مؤخراً إلى جوار ربه بعد أن تجاوز عمره مائة عام، ومن خلال الذكريات نستخلص العظات والعبر ونستلهم الماضي ثم نقارنه بالحاضر ..

* ليس كل ما يُنشر في هذا الملف الإبداعي والثقافي يُعبر عن وجهة نظر النادي، بل هو قابل للنقاش والرد عليه موضوعياً إذا كان هناك رأي آخر .

* ومن ذلك ما حادثنا عنه أحد الإخوة المشاركين في العدد الأول من (بيادر) حول الدراسة التي أعدها مشكوراً الأستاذ (صلاح عبدالحميد الأزهري) في العدد السابق ص ١٠٩ عن مسيرة هذه المجلة في اثني عشر عاماً..

وتتلخص ملاحظته في إغفال الكاتب أسماء الأساتذة هيئة التحرير في ذلك العدد أسوة بما سجله الكاتب عن محرري (بيادر) في مراحلها الأخرى.. وإحقاقاً للحق نسجل هنا أسماء أولئك الإخوة الكرام مقدرين جهودهم السابقة واللاحقة وهم الأساتذة :

(الترتيب أبجدي) إبراهيم محمد اللوذ ، حسن محمد النعمي ، علي آل عمر عسيري ، محمد زايد الألمعي ، محمد علي علوان .

* ازدان العدد الماضي بإحدى عشرة قصيدة من بعض أعضـــاء النــادي فـــي الذكرى العطرة لتسلّم أمير الإدارة والإبداع (خالد الفيصل بـــن عبدالعزيــز) إمارة منطقة عسير منذ أكثر من ربع قرن من الزمان ..

* وعلى ذات النهج استُكتب أعضاء النادي من الشعراء والناشرين والتشكيليين للمشاركة في ذكرى الذكريات (فتح الرياض) ١٤١٩/١٠/٥هـــ علـــى يـــد الملك المؤسس (عبدالعزيز) طيّب الله ثراه فمثل هذه المناســبات الوطنيـــة جديرة بالإشادة والتخليد وســيتوج هـــذا الإصـــدار أحـــد أعـــداده بإبداعـــات المستجيبين للدعوة إن شاء الله .

الافتتاحية


بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٢
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٢
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٢
بيادر ملف إبداعي ثقافي العدد ٢٢



" الافتتاحية "

رئيس التحرير

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبي الهدى ... أما بعد :

فهذا هو العدد الثاني والعشرون من ملف "بيادر " نزفّه إليـــك - عزيـــزي القارئ - والسعادة تغمرنا أن حقق هذا الملف في أعداده السابقة بعض ما نتطلع إليه من خدمة بلادنا وتراثنا وديننا ، وإن كنّا لا نزال نرى الطريق أمامنا طويلـــة حتى نحقق كل ما نتطلع إليه مما نعتقد ويعتقد بنو جلدتنا من صلاح ونفع لعقيدتنا ووطننا وأهلينا.

في هذا العدد الذي بين يديك تلاحظ التنـــوع فـــي محتوياتـــه الفكريـــة : التاريخية ، أو الأدبية أو الحضارية ، أو التراثية . وقد حاولنا أن نأخذ من كل علم بطرف ، فأوردنا العديد من المواد الفكريـــة والأدبيـــة المتنوعـــة فـــي أهدافهـــا ومقاصدها ، فهناك البحث الأكاديمي الموثق ، وهناك أيضـــاً القصـــائد الشـــعرية والقصص الأدبية المتنوعة والمختلفة في مستواها .

ولعلك واجد بجوار القصائد والقصص الرفيعة المســـتوى بعـــض المـــواد الأخرى لكتّاب مبتدئين من أبنائنا وبناتنا من المنطقة ؛ ذلك أن من أهدافنا الرئيسة في هذه الدورية أن نجمع بين المبدعين والباحثين المتمرسين، والشباب النـــاهض الذي يُنْتَظَر منه الشيء الكثير .

كما أننا أوردنا في هذا العدد قضية حول موضوع مهم هـــو : " المبـــارزة بين التلفزيون والكتاب " ، وهي قضية أضحت جديرة بالبحث والدراسة ليست من باحث أو باحثَيْن ، وإنما من هيئات علمية وفكرية ، وخصوصاً عندما طغى التلفاز على الكتاب وعلى كثير من مصادر المعرفة الأخـــرى ، وبـــدت الآثـــار الســـلبية المترتبة على هذا حتى أصبح عامة الناس يقضون الساعات الطويلـــة لمشـــاهدته بينما كثير منهم قد لا يطّلع على كتاب واحد في السنة والسنتين وربمـــــا أكـــثر . وقضية قضاء أوقات طويلة أمام (التلفاز) تكاد تكون قضية عامة علـــى مســـتوى العالم ، وقد تأكد هـــذا من الإحصائيات التي أوردها الأستاذ الدكتور / حمود البدر في المادة العلمية المدونة بهذا العدد .

وهناك أبحاث علمية تاريخية وفكرية أخرى من أهمها : " الجائزة الأدبيـــة بين العطاء والإجلال: ورقة حوار مقدمة لملتقى أبها الثقافي عام ١٤١٨هـــــ " . وكذلك لمحة تاريخية عن منطقة عسير في عهد الملك عبدالعزيز دوّنها رجل عاش في منطقة عسير أكثر من مائة عام هو الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن (ابن إلياس) خلاصة لمشاهداته ومشاركاته في أثناء تأسيس الدولة الســـعودية الثالثـــة تحـــت زعامة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل (يرحمه الله) .

كما تضمن هذا العدد أنموذجاًمن الدراسات النقدية ، وكان موضوع هـــذه الدراسة عبارة عن : " دراسة تحليلية فنية للمجموعة القصصية " شهادة للبيـــع وقصص أخرى " من تأليف الأستاذ الأديب/ محمد بن عبدالله الحميِّد ، وقـــد قـــام بإعداد هذه الدراسة الدكتور / ماهر الملاح ، أستاذ الأدب المقـــارن بقســـم الأدب بكلية اللغة العربية بأبها . أيضاً تضمن العدد " استراحة في رياض الأدب " شملت محاور عديدة من فنون الأدب .

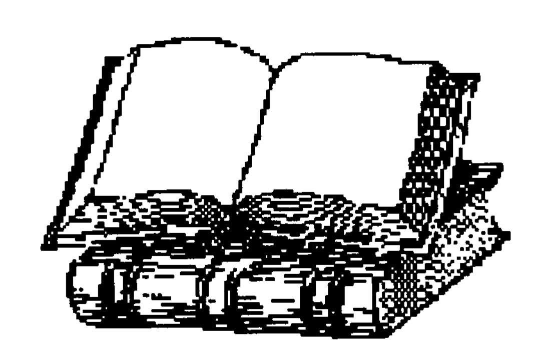
وظهر على صفحات هذا العدد أيضاً دراسة حسنة جمعــت بيــن الجــانب الإعلامي والأكاديمي عن محافظة عريقة بتاريخها وأصالتها وفكرها ، إنها محافظة تثليث التي أنجبت الشاعر الفارس المخضرم عمرو بن معد يكرب الزبيدي . وهذا منهج قد سلكناه منذ العدد العشرين ، في أن نقدم في باب " استطلاعات " موقعاً أو محافظة أو مكاناً في بلادنا الغالية فنتعرض لتاريخه وفكره وحضارته وما بلغه في عصر مولانا " خادم الحرمين الشريفين " من رقي وتقدم وحضارة . (وما نــورده في هذا الجزء ليس إلا تعريفا موجزاً لأن الحديث بشكل وافٍ يحتاج إلى مجلدات ، ولكننا ننطلق من المقولة " جزء من شيء أفضل من لا شيء " ، وقد يظهر علــى الحديث في هذا الباب الاقتضاب ، ولكن نطلب المعذرة من القراء الكرام إذا ظهــر بعض النقص أو الاختصار) .

كما شمل العدد مواد أخرى متنوعة في هدفها وفحواها مثل باب ســنابل ، وباب قراءة في كتاب ، وغيرهما .

والله الهادي إلى سواء السبيل . وأخيراً نقول : " سبحان ربك رب العــزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين " .



البحوث



خصائص الشعر السعودي
في مدرسة الإحياء

د. ظافر بن عبدالله الشهري

لابد أولاً من أن نتوقف عند مصطلح " الإحياء " فهـو مصطلح طويل عريض انتشر في الشعر العربي الحديث في كل قطر على حدة ، فتمثل أولاً في لبنان ومصر وسوريا عند ناصيف اليازجي ومحمود سامي البارودي وأحمد شوقي ومحمد البزم وسواهم، وقد عدّ الإحياء عودة إلى فصول الشعر العربي في أزهى عصوره ؛ وكان لشعراء العصر العباسي وللفحول منهم نصيب كبير .

يتميز هذا المصطلح بسمات كثيرة ، فهو أولاً أدب إصلاحي ، وهـو ثانياً إحيائي، أي أن إصلاحيته تكمن في إحيائيته ، فلا إصلاح دون العودة إلى الأصالة، والأصالة في ماضينا المجيد ، وأرقى نماذجه عند فحول الشعراء كأبي تمام وبشار والمتنبي والبحتري وسواهم. ولهذا كان أدباً اتباعياً إصلاحياً وأهم سماته :

١ ــ محاكاة القدماء :

تجلت هذه المحاكاة في أن يسير شاعر الإحيـاء علـى هـدي الشـعراء الفحول، وأن ينهج نهجهم ، ويحيي ديباجتهم ، ويتقيد بأساليبهم ، ويعارضهم في قصائدهم الشهيرة ، فقد عارض البارودي معظم شعراء العصر العباسي وبعض شعراء العصر الجاهلي ، وعارض شوقي سينية البحتري وبردة البوصيري ونونية

ابن زيدون ، وهكذا فعل معظم شعراء الإحياء الذين تابعوا القدماء في النظم في أغراض الشعر العربي من مديح وهجاء وفخر وغزل وزهد وحكمة ورثاء إلى غير ذلك مما هو معروف في ديوان الشعر العربي ، وحاكوا القدماء في معانيهم ، فالحبيبة شادن أو ظبي أو غزال أو جؤذر أو بدر ، وفي غزلهم شيء كثير من غزل القدماء ومعانيهم وهم يتابعون عمود الشعر العربي في شرف المعنى وصحته، فإذا تغزل الشاعر خاطب طيف الحبيبة وبين قلقه من هجرانها وإهراق دموعه وهزال جسده ، ومشاركة الورقاء في مصابه ، كما بين تكبر الحبيبة وصلفها ، وفي أوصافهم لها كثير من أوصاف القدماء وأخيلتهم ، فالحبيبة منعمة ثرية هيفاء القامة ممشوقة القد حوراء العينين إلى غير ذلك من الأوصاف التي عهدناها في ديوان الشعر العربي ، وإذا مدح الشاعر فممدوحه خير الورى عدلاً وهو عماد قوة البلاد ، وقد ورث العلا والأمجاد والشرف التليد وجمع المحامد في همته إضافة إلى الصفتين اللتين ينبغي أن تتوافر في كل ممدوح وهما الكرم والشجاعة.

٢ ـ جودة الصياغة :

التفت هؤلاء الشعراء إلى الصياغة عند فحول الشعر العربي ، فرأوا في ديباجة البحتري رقة ورونقاً ، وفي جزالة ألفاظ المتنبي وقوة تراكيبه هديراً ومتانة ، ووجدوا في غوص أبي تمام على المعاني التفاتاً إلى معنى المعنى ، وبحثاً عن المجهول والذي لم يقل بعد ، فانبهروا بهذه الصياغة وأرادوا أن يحاكوها ، وأن يعيدوا إلى اللغة العربية صفاءها وإلى الشعر العربي بهجته وأثبت هؤلاء الإحيائيون أن اللغة الفصحى هي القادرة دائماً على الحياة والتعبير والتجديد. وذهبوا إلى أن الاقتصاد في اللفظ يعني البلاغة في الإيجاز وأن العرب

حين ذهبوا إلى أن خير الكلام ما قل ودل كانوا يريدون من ذلك الوضوح واللياقة والأصالة وجودة الصياغة ونصاعة التعبير .

٣ ـ إعلاء شأن العقل :

المدرسة الإحيائية هي مدرسة العقل أولاً وأخيراً، وأدبها هو أدب العقل بلا منازع وقد حاول هؤلاء الشعراء أن يركنوا إلى سلطة العقل ليبعدوا عن قصائدهم سلطة العاطفة الجياشة والخيال الجامح ، وإعلاء شأن العقل عندهم يعني الانضباط بالقواعد ، وهذا الانضباط ليس شكلياً فحسب، وإنما هو يتضمن الشكل والمضمون ، ففي الشكل محافظة على أصول اللغة العربية وإبعاد كل ما هو أعجمي عنها وتنقيتها من الشوائب والعاميات والعودة بالصورة الشعرية إلى نقاوتها ونصاعتها. وإعلاء شأن العقل في المضمون والمحتوى يعني مخاطبة المتلقي بما ينبغي أن يخاطب به ، فإذا مدح الشاعر كبيراً خاطبه بما يليق بمقتضى المقام ، وإذا كان في موقع الرثاء أو في موقع الغزل أو في موقف الاعتذار أو سوى ذلك التزم بالقواعد المطلوبة لذلك .

وقد سادت هذه الاتباعية الشعر العربي الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين في مصر وبلاد الشام والعراق تقريباً . ثم انتقلت إلى أقطار عربية أخرى كالمغرب وشبه الجزيرة العربية والشعر السعودي ضمن هذا الشعر الإحيائي .

إن المساحة الشعرية التي يتحرك عليها الشاعر الإحيائي في السعودية غير المساحة الشعرية التي تحرك عليها الشاعر الإحيائي في الأقطار العربية أو في العالم، فالشاعر الكلاسيكي(*) في أوروبا كان يتحرك ضمن مساحة تحددها له

الأبعاد الفلسفية التي هيأت المدرسة الكلاسيكية، وترعرعت هذه المدرسة بين أحضانها، وهو يتقيد بها لأنها نتاج عصره وبيئته، فالعصر الكلاسيكي هو قمة الشعر حينذاك. ولما جاء العصر الرومانسي طغى على الساحة الشعرية وصار ينظر إلى الشعر الكلاسيكي على أنه شعر مضى زمانه وانقضى إلى حد ما، ولكن الأمر يختلف في الأقطار العربية التي استقبلت المذاهب الأدبية أولاً كلبنان ومصر، فقد تزاحمت المذاهب الأدبية في الاستيراد دون أن يستوردوا معها عمقها الفلسفي، ولم تكن هذه المذاهب متتالية فكثيراً ما كان الشاعر يطلع على المذهب الرمزي قبل الرومانسي والرومانسي قبل الكلاسيكي ويتأثر بهذه المذاهب مجتمعة، ولذلك يمكننا أن نطلق على تلك المرحلة فوضى استيراد المذاهب الأدبية دون هضم وامتصاص وتمثل، كأن يكون الشاعر اليوم رمزياً وغداً رومانسياً وبعد غد كلاسيكياً، وقد نجد بذور هذه المدارس في عمل شعري واحد.

وقد انتقلت عدوى هذه الفوضى إلى الشعر السعودي الحديث؛ وذلك لأن الشعراء السعوديين تأثروا بالشعراء في مصر ولبنان وسوريا والمهجر، ولم يتأثروا تأثراً مباشراً بالشعر الغربي ، ولذلك نجد الإحيائية والتجديدية عند معظم الشعراء، فيحار الدارس أين يصنف هذا الشاعر أو ذاك، فإذا وضع شاعراً ضمن قائمة الإحيائيين وجد أن بعض أعماله تندرج ضمن الشعر التجديدي ونقيض ذلك صحيح أيضاً ، ولذلك ذهبنا إلى الكم والحجم وهذا ما واجهنا مثلاً في شعر أحمد قنديل فهو شاعر إحيائي في معظم ما نظم وصياغته تحاكي صياغة فحول الشعر في العصر العباسي وفحول شعراء عصر الإحياء في مصر والشام ، فهو يعلي منارة المجد، ويرى الجد متشحاً بالصبر، وينادي الشعب إلى أن يجرد الجد من أغماد الأنفس إلى هذه الصور التي ألفناها في الشعر القديم في قصيدته "إلى الشعب " التي يقول فيها :

لسنا من المجد في أعلى منارته ... أو في الطريق قطعنا منه ما عظما
لكنما نحن شعب يرتجي أمــلاً ... ضخماً وأرقى أماني الشعب ما ضخمـا
ومن رجا وسعي بالجد متشـحاً ... بالصبر مدرعاً نال المنى نعمـا
يا قومنا الآن حلقنـا بناظرنـا ... وقد مددنا ضعيفاً ذلـك القدمـا
فجردوا الجد من أغماد أنفسكم ... ولتنفروا كتلاً واستنفروا الهمما[1]

ونحن نجد في الوقت ذاته لهذا الشاعر صياغة لينة قريبـة مـن الغنـاء والشعر الرومانسي التجديدي في مثل قصيدته " دنيا الحب " التي يقول فيها :

مـا علينـا يـا حبيبـي ... بـالذي قيـل علينـا
فـالمنى ملـك هوانـا ... والهـوى طـوعٍ يدينـا
زف نـور الحسـن كونـاً ... طـاب أسـماعاً وعينـا
فـالزهور البيـض مـالت ... نحونـا ترنـو إلينـا[2]

ثم إن هذا الشاعر يتنقل بين ثنائيات ضدية تجعل المساحة الشعرية التـي يتحرك عليها واسعـة كبيرة ، فيراه الدارس جدياً حيناً ويراه ساخراً أخـرى ، ويراه جدياً وساخراً في الوقت ذاته ، ويراه إحيائياً مرة وتجديدياً أخرى ، ويـراه شاعراً يذهب إلى درجة عالية من الفصاحة والبلاغة ثم يحط في مهـاوي الشـعر (الحلمنتيشي) فيستخدم بعض الألفاظ العامية الساخرة يدبج بها عمله الشعـري، وهذه الثنائية الضدية توسع الدائرة التي يعمل من خلالها هذا الشاعر أو ذاك .

ويمكننا أن نتوقف الآن عند الخصائص الفنية في المحتوى وفـي الشـكل وفي البنية من خلال استعراض بعض الأمثلة مـن الشـعر السـعودي الإحيـائي المعاصر :

أولاً : خصائص في المحتوى :

يرى الإحيائيون أن الشكل القديم ينبغي أن يكون ثابتاً وإذا كان لا بد من التجديد فلا بأس من أن يكون في المضمون ، والمضمون أو المحتوى هو المجال الذي ينبغي أن يتنافس فيه الشعراء من خلال شكل توارثه الأبناء عن الآباءو الأجداد ، وهذا ما وجدناه في قصيدة محمد علي السنوسي " الشعر الحر " الذي استنكر الخروج على الوزن الشعري الخليلي :

إن كان لابد من فنٍ نجدده ... فجددوا في مضامين وأفكار
وأنطقوا الصخر في ترنيم قافية ... كرعشة الضوء في لمع السنا الساري
حرية الشعر في إشراق فكرته ... وفي تساميه عن لغو وأقذار[٣]

ويمكننا أن نتوقف في مرحلة الشعر الإحيائي عند أهم خصائص المضمون، وهو الاهتمام بالأغراض التقليدية وشعر المناسبات ، فقد وجدنا أن الشعر الإحيائي يستمد معانيه ومحتواه من الشعر القديم، ولذلك هو يتوقف عند شعر المديح والرثاء والفخر وسوى ذلك من الأغراض التي عرفها الشعر العربي القديم من مناسبات وسواها. ولكنه لا يمنع من أن يتوجه الشاعر إلى بعض الموضوعات العصرية التي لا تتناقض ومبدأ الشعر الإحيائي ، ومن ذلك مثلاً ما نجده في تقسيم دواوين الشعراء الإحيائيين. فالشاعر " حسين عرب " وهو واحد ممن نسجوا على منوال الإحيائيين قد رتب ديوانه الكبير ترتيباً موضوعياً، فكان الجزء الأول من ديوانه يتضمن الأقسام التالية: إيمان أوطان ، الوطن العربي ، فلسطين ، أناشيد . فهو في القسم الأول إسلامي، وقصائده مستوحاة من العقيدة الإسلامية التي عهدنا صفاءها عند شعراء المملكة قاطبةً، ومن قصائده الفريدة في

ذلك قصيدة " رمضان " فهي ذات مضمون إسلامي معروف، وهي في الوقت ذاتـــه ذات صياغة تتناسب وهذا المضمون، ولذلك أيضاً كان الـــوزن طويـــلاً " البحـــر الكامل" وكان حرف الروي واحداً على طريقة الإحيائيين ومن القصيدة هذا المقطع:

الشرق يرقب في هلالك طالعـــاً	يعنو لديـــه الكفـــر والطغيـــان
وبك استهام فؤاد كـــلِّ موحـــد	يسمو به الإخـــلاص والإيمـــان
وسمت بلقياكَ الحياةُ وأشـــرقت	وانهل منـــك جمـــالُك الفتّـــان
وتعلمت عنك الحصانة والحجى	فانجاب عنها الهـــمِ والخـــذلان
وتذكرت فيك العروبـــةُ مجدَهـــا	هل مجدُها إلا الذمارُ يصـــان(٤)

وقد شارك الشعراء الإحيائيون في المناسبات الوطنية فأكثروا مـــن شـــعر المديح ومن ذلك أيضاً قصيدة " تحية الشعر " لحسين عرب التي مدح بها الملـــك عبدالعزيز - رحمه الله - في الذكرى الخمسينية فقال :

يا أبا العرب كيف مرت بك الأحـ	ـــداث تـــترى وكلُّهـــا آلام
فتحملتهـــا بهمـــة حـــزم	أين من مثل بِأســـه الضرغـــام
قمت بالأمر منذ خمسين عامـــاً	فـــإذا الأمـــرُ حكمـــةٌ وانتظـــام
واستقامت بك الشؤون صلاحـــاً	يَنشر النورُ للذين اســـتقاموا(٥)

وقد حافظ الشعر الإحيائي على نبل الأفكار واستقامتها وصحتها في بنيـــة القصيدة في الموضوعات الإحيائية والتجديدية كالرثاء والموضوعات الوطنية التي اقتضتها ضرورة العصر. حتى في الشعر الوجداني الذاتي عنـــد الإحيـــائيين مـــن الشعراء السعوديين نجد أنهم في خضم تفاعلهم مع الغنائية الذاتية في هذا النـــوع من الشعر نجد لديهم نفثات وجدانية خالصة ؛ لأن الإنسان واحد في كـــل زمـــان

ومكان لكن هذه الوجدانية يمكن أن تلاحظ عليها أنها تصدر عن تأثر بالشعر العربي القديم . فالشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي يحن إلى وطنه وهو بعيد عنه فيحاكي أبا فراس الحمداني في قصيدته التي بثها أشواقه وهمومه إلى حلب حين كان أسيراً في بلاد الروم .

ثانياً : خصائص شكلية :

كما في المضمون كذلك في الشكل حاول الشعراء الإحيائيون أن ينهجوا نهج القدماء من فحول الشعر العربي في محاكاة القدماء ومعارضاتهم والاهتمام بالمطلع وطول النفس الشعري ، وجزالة اللفظ وسوى ذلك مما هو معهود في شعرنا القديم.

١ ــ محاكاة القدماء ومعارضة الشعر القديم والإحيائي :

حاول بعض شعراء الإحياء في المملكة أن يجاري مدرسة الإحياء في الشعر العربي في مصر وبلاد الشام في معارضة الشعراء الفحول في العصر العباسي وفي العصر الأندلسي وسواها وذلك كما فعل البارودي وشوقي وحافظ ومحرم في مصر وكما فعل بدوي الجبل ومحمد البزم وشفيق جبري وخيرالدين الزركلي في بلاد الشام ، فهذا حسين سراج يعارض قصيدة ابن زيدون النونية الشهيرة فيقول :

أمست ليالي الهنا حلماً تناجينا ... وأصبحت ذكريات الحب تشفينا
كنا خليلين في دنيا الغرام وقد ... أضفت علينا من النعمى أفانينا

نُسقي حُميا الهوى في الكأس مترعةً ممزوجةً بحنان كـــان يحيينـــا
وللصبا في قشيب البرد روعتَه وللعيون نداءٌ كـــان يغرينـــا[٦]

وأكثر الشاعر ضياء الدين رجب من تمثل القدمـــاء ، وبخاصـــة الشـــاعر المتنبي ، والشريف الرضي وسواهما ، فهو في قصيدته " يا عيد " يحاكي قصيدة المتنبي في هجاء كافور ومطلعها :

عيد بأيد حال عـــدت يـــا عيـــد فكم تحراك أم بأمر فيك تجديد[٧]

يقول ضياء الدين رجب :

ما أخطأ المتنبـــي فيـــك يـــا عيـــد بما مضى تحراك محظوظ ومنكود[٨]

وإذا كان شوقي قد ذهب في قصيدته " زحلة " إلى معارضة القصيدتين معاً فحاكى القصيدة العباسية وقصيدة شوقي " قولي " ومطلعها :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليَهنك اليوم أن القلبَ مرعاك[٩]

فإن ضياءالدين رجب ذهب إلى معارضة القصيدتين معاً فحاكى القصيـــدة العباسية وقصيدة شوقي في قصيدته "قولى " ومطلعها :

قولي بربِّك ماذا أنـــت صانعـــةٌ بعدي وقد سرقت عينيَّ عيناك[١٠]

يذكرنا هذا البيت مباشرة ببيت شوقي في القصيدة نفسها :

وتعطلت لغة الكـــلام وخـــاطبت عينيَّ في لغة الهوى عيناك[١١]

وهكذا شبك ضياء الدين رجب بين القصيدتين اللتين عارضهما معاً ، فاستعار الإطار الخارجي من قصيدة الشريف الرضي التي هي النموذج الذي احتذاه شوقي نفسه ولم يهمل قصيدة شوقي بل ذهب إلى بعض المعاني الجزئية ليجاريها ويحاكيها .

ولم يهمل ضياء الدين رجب الشعراء الآخرين الذين حلقوا في سماء الشعر العربي في العصر العباسي ، فهو في قصيدة له بعنوان " إلى أبي العلاء المعري في عالمه " يخاطب هذا الشاعر قائلاً :

ولستَ يا ابنَ الشآم الحلو غيرَ فتىً	أعطى الحياةَ عطاءً غيرَ ممنون
صحا بمهجته صحواً تضيق به	مشاهدُ الكون في رؤيا المجانين
رعى الحقيقةَ في أسمى منازلها	بصيرةً فوق أبصار الملايين
وعانق الحسنَ في أطواء عالمه	كما تعانق فتان بمفتون
إذا تدفق فالسلسال رونقه	يجري مع الغيث في آن وفي حين
وإن تألق في أعماقه قبسٌ	تفتح الروضُ عن ورد ونسرين[١٢]

ولم يكتف ضياء الدين رجب بمحاكاة القدماء وإنما ذهب إلى محاكاة جبران في قصيدته " المواكب " واقتفى وزنها ورشاقته ، وبخاصة أنها سارت على الألسنة، ولكنه عارضها من جهة المضمون، فقد ذهب جبران إلى أن الغاب هو العالم المثالي ورمز الطبيعة والمدينة الفاضلة ، أما ضياء الدين رجب فقد رأى في الأماكن الإسلامية " زمزم وأريس " بديلاً أساسياً من غاب جبران في قصيدته " أغنية زمزم وأريس " إذ يقول :

هل رشفت المزن رشفاً	ثم حليت بزمزم
صفقوها بأريس	وسرى البدر الملثم
	بشعاع من رضابك[١٣]

وليس ضياء الدين رجب وحيداً في هذا المجال ، وإنما هــو واحــد مــن شعراء كثر انتشروا في أماكن عدة في المملكة لإحياء الشعر العربي ومن هــؤلاء الشاعر الدكتور زاهر الألمعي الذي يقول :

إنا بنو أمـــة تـأبى مكارمُهـا — أن تستكين لأطمــاع المعادينــا
إنا بنو أمـــة تهـوي لعزتهـا — شمِ الأنوف إذا خاضوا الميادينا
إنا ليــوث لنــا مجـد نخلـده — يومَ الجلاء إذا ما قام داعينا[١٤]

وهو يحاكي قصيدة الشاعر الجاهلي بشامة بن حزن النهشلي التي يقــول فيها :

إنــا محيــوك يــا ســلمى فحيينــا — وإن سقيت كرامَ الناس فاســقينا[١٥]

وإذا توقفنا عند ديوان " في زورقي " للشاعر عبدالله بن إدريس وجدنـــا غير قصيدة في محاكاة الشعر القديم ومنها قصيدته في استقلال الجزائر " المجاهد الجزائري " ومطلعها :

عكازتي (بندقي) في ساحة الرهـــب — ومقولي (مدفعي) في موطن الغضب[١٦]

وقصيدته " محنة المغرب العربي " التي مطلعها :

ألا فاسألوا التاريخَ عن أمة العرب — وعن مجدها السامي على قمم الشهُب[١٧]

وهما في معارضة بائية أبي تمام التي مطلعها :

السيف أصدق أنباءً مــن الكتــب — في حده الحد بين الجد واللعب[١٨]

ويمكننا أن نتوقف أيضاً عند كثير من شعراء الإحياء في المملكة كالغزاوي وعبدالله بن خميس وفؤاد شاكر والسنوسي والعقيلي وسواهم الذين عارضوا الشعر القديم والشعر الإحيائي معاً وأجادوا في ذلك كله ، بل إن أسلوب المعارضة هذا كان أفضلَ نهجٍ للعودة إلى الشعر الأصيل من جهة وتعزيز لغة الضاد في المملكة من جهة أخرى ليبقى للشعر العربي الفصيح وللغة القرآن المركز الأول .

٢ ـ الاهتمام بالمطالع :

إن للمطلع مكانة خاصة عند الشعراء ، ولذلك يكون مصرعاً ، ويرد العجز فيه على الصدر أحياناً وقد أكثر النقد من أهمية الاعتناء به، وكان للمتنبي ولأبي تمام وللبحتري مطالع مميزة برع فيها هؤلاء وعرفوا باعتنائهم بها، وعلى هذا المنوال سار شعراء الإحياء في المملكة ومنهم ضياء الدين رجب ، ومحمد بن سرور الصبان ، وأحمد قنديل وحسين سراج وأحمد الغزاوي وعبدالله بن علي بن حميد وزاهر الألمعي والسنوسي والعقيلي والبهكلي وعلي بن عبدالله بن مهدي والشيخ أحمد بن عبدالخالق الحفظي وغيرهم . فلأحمد إبراهيم الغزاوي غير قصيدة يتسم مطلعها بالسمة الإحيائية ومنها المطالع التالية :

أجل هذه نجد فهل شاقك الرند ... وهبت صباها فاستقر بك الوجد[١٩]

و

بدر تمّ أم فلق ... أم شعور فاض فاستهوى الحدق[٢٠]

و

أجشــم قلبــى أن يســرَّ وربمـــا   عييت من المكروه أن أتالمـــا[٢١]

ونجد لعبدالله عمر بلخير مطالع فيها الكثير من العناية ومنها :

نهض الحجاز وصحـــت الأحــلام   ووفى الزمان فبرت الأقســـام[٢٢]

و

اليومَ يفتخـــر الإســلام والعــرب   والشعب جاء يؤدي بعض ما يجب[٢٣]

و

تلألأت الأنوار مذ ســـطع الفجــر   وهب نسيم الوصل فابتسم الزهر[٢٤]

إن هذه المطالع وأمثالها كثير في الشعر السعودي الإحيائي تذكرنا دائمـــاً بقصائد الفحول من شعرائنا العرب وتبعث في النفس العزة والاعتداد بالذات وبلغة القرآن وما تتسم به من إعجاز وعبقرية ، وبدى تمسك شـــعراء الإحيـــاء بهـــذه السمات وتمثلها في قصائدهم .

٣ ـ الديباجة الإحيائية الرصينة :

قد اشتهر الشعر القديم بديباجته ورونقه وكثرةِ مائه حتى قيل : أبو تمـــام والمتنبي حكيمان والشاعر البحتري (٢٥) وذلك لما اتصف به شعر البحتري مـــن ديباجةٍ مشرقةٍ وسلاسةٍ في العبارة وتهامسٍ في الإيقاع وفخامـــةٍ فـــي التعـــابيرِ وجزالةٍ في اللفظ ، وهذا ما أصر عليه الشعراء الإحيائيون في المملكـــة ومنهـــم محمد علي السنوسي في قصيدته " الشعر الحر " التي يقول فيها :

وإن كان لابد من فـــن نجـــدده فجددوا في مضـــامين وأفكـــار
وأنطقوا الصخر في ترنيم قافية كرعشة الضوء في لمع السنا الســاري
حريـــة الشعر في إشراق فكرته وفي تساميه عن لغو وأقذار[٢٦]

وهذه الديباجة الصافية تذكرنا أيضاً بالثقافة القديمة الواســعة وبتــاريخ العرب وعلومهم وبأشعار الأوائل ، كما تذكرنا بأشعار الإحيــائيين مــن مختلــف الأقطار العربية وهذا دليل على ارتواء الإحيائيين من الأدب القديم وتمثلهم لـــه .
ولا شك في أن هذا التمثل كان عفوياً متدفقاً وكان نتيجةً لخبرتهم اللغوية وصفاء قريحتهم ، كما أن لجوءهم إلى كلمات صعبة أحياناً أو نابيـــة يـــدل علـــى هـــذه القراءات وتمثلهم لأساليب العرب القدماء .

ثالثاً : خصائص في البنية :

يمكننا أن نتوقف في هذا المجال عند نقطتين : طول النفـــس الشـــعري - ووحدة القصيدة .

١ ــ طول النفس الشعري :

يتسم الشعر الإحيائي بالقوة والمتانة والجزالة ، وهذا يعني أن الشـــاعر قادر على أن يطيل في موضوعه ، وبخاصة إذا كان متبحراً في علوم اللغة وحافظاً لألفاظها، ولذلك وجدنا في الشعر السعودي الإحيائي معلقات طويلة التزم الشـــاعر فيها بالشكل الهندسي وبوحدة القافية ومن ذلك مثلاً قصيدة " الزهـــراء " لأحمـــد قنديل، وهي ملحمة إسلامية مؤلفة من "١٢٦٣" بيتاً في سبعة أقسام مـــن بحـــر

واحد هو الخفيف وروي واحد هو " ها " وهذا يدل على سعة ثروته اللغوية ونفسه الطويل، والقصيدة أو الملحمة في موضوع واحد هو التأريخ للحضارة الإســـلامية في المملكة العربية السعودية. ومن هذه القصيدة قوله :

يا رسول السلام ساد به الكون فأعلى قدر الحضارات جاهــا

أنت أسديتَ للخلائق أسنـــى ما رجته على الزمان دناهـــا

والقصيدة ألقيت في المؤتمر الأول للأدباء السعوديين الذي عقد في رحاب جامعة الملك عبدالعزيز سنة ١٣٩٤هـ في عهد الملك فيصل رحمه اللـــه ولذلـك يقول الشاعر في هذه القصيدة :

قد رعــاها وصــاغها الفيصـــل الفذ حــياة وعزةً ورفاهـــا

همُها شــغله فمـــا شــغلته أي دنيـــا عن همها وهــواهـــا

يصطليها بشعبه كعوانٍ ما اتقاها ما حاد عن مصطلاها وهكذا ....

وللدكتور زاهر بن عواض الألمعي قصيدة طويلة أخرى بعنوان " الرسول ورسالة الإسلام في الجزيرة العربية " بلغت " ٣١٤ " بيتاً وهي من بحر واحد هو الكامل وروي واحد هو "ها " ومطلعها :

طلعت فلاح اليمنُ فـــي طلعاتهـــا وبدا جمال الورد في وجناتهـــا(٢٧)

والقصيدة في موضوع واحد هو الإسلام أيضاً ، ونعتقـــد أن مثـــل هـــذا الموضوع يستحق أن تكون القصيدة طويلة لأنه موضوع واسع متشعب الأطـــراف متعدد الأفكار ، وهو موضوع حضاري يتناول حضارة أمة بكاملها فـــي تاريخهـــا

العريق ، ولذلك يتعذر على الشاعر أن يمر به مرور الكرام في قصائد قصيرة ، فنبل الموضوع يحتاج إلى وقفة طويلة لبيان تفصيلاته وجزئياته وتعرجاته ومداخلاته وتوضيح أبعاده وآفاقه وهو يشبه إلى حد بعيد جنس الرواية ، فالرواية عمل إبداعي طويل يقتضي من الروائي أن يقف عند التفاصيل والجزئيات والوصف في حين أن كاتب الأقصوصة القصيرة يركز على حدث يسير وينتهي منه سريعاً. هذا الفرق بين جنس الرواية وبين جنس القصة القصيرة يشبه الفرق بين القصيدة ذات الموضوع (البسيط) التي لا تتعدى أبياتها الخمسين بيتاً وتكون في الحب أو الرثاء أو الفخر أو المديح أو ما شابه ذلك ، في حين أن الموضوعات الإسلامية والتاريخية والحضارية تحتاج إلى وقفة أطول وتتعدد فيها الأحداث وتبتعد لتتلاقى مرة أخرى وكلما ابتعد عنها الشاعر اقترب منها مرة ويستنطقها وكأنه في تكراره هذا وذاك يحاول تثبيت هذه الفكرة وتأكيدها في نفس المتلقي وشعوره ، ويحاول أيضاً أن يرتفع بالمتلقي وبإحساساته إلى حيث يعيش هو مناخاً من الشعر المصفى يحلق في فضاءات خيالية، ويعيش مع الأقدمين في غزواتهم وفتوحاتهم وأمجادهم ليبعث في النفس تلك الومضات المشرقة لرؤى ذلك التاريخ الإنساني المجيد .

٢ ـ وحدة القصيدة :

إن مفهوم وحدة القصيدة غربي في أصوله، وهو ذو اتجاهين: الاتجاه الأول تحدث عنه أرسطو في كتابه " فن الشعر " وقد استقاه من فني المأساة والملحمة وهو مصطلح نقدي يميز بوساطته القصيدة الجيدة من سواها، ويقصد هنا بالقصيدة النص الشعري ويريد أرسطو من ذلك المأساة والملحمة اللتين تحدث عنهما في كتابه المذكور وكانتا تكتبان شعراً، أما الاتجاه الثاني فهو وحدة

القصيدة في الشعر الغنائي في الرومانسية وهي معيار تحدث عنه الرومانســـيون وبخاصة الشاعر الناقد الفيلسوف الإنجليزي (كولردج) الذي استقى مادته الأولية من الفلسفة المثالية الألمانية في نهاية القرن الثامن عشر، وتقوم نظريتـــه علـــى التفرقة بين الخيال الأولي والخيال الثانوي، فالخيال الأولي يخـــص كل إنســـان، أما الخيال الثانوي، فهو ملكة شعرية لا يمتلكها سوى الشـــعراء، كمـــا يتوقـــف (كولردج) ليفرق بين الخيال والتوهم ، فالخيال سمة من سمات الشـــعر والتوهـــم سمة من سمات النظم والتفكك(٢٨) .

بناء على هذه التفرقة لا يمكننا أن نقبل بالأحكام السريعة التي يذهب إليها بعض النقاد والدارسين سواء في قولهم : إن الشعر العربي القديم يخلو من مفهوم الوحدة أم قولهم : إن القصيدة الطويلة تكون مفككة ، وهذا يعني أنهـــم يصفـــون الشعر العربي بالتفكك والنظم ومن هؤلاء الدكتور عبدالله الحامد الذي يقول فـــي كتابه " الشعر السعودي المعاصر في المملكة العربية السعوديـــة " : (وفقـــدان الوحدة ظاهـــرة شديدة الوضوح في شعر المحافظة)(٢٩) ويقول أيضـــاً: (لكـــن اختلال الوحدة في الشعر له صلة قوية بميل الشاعر إلـــى الإطالـــة دون أن يجـــد أفكاراً أو معاني يتحدث عنها، فيلجأ إلى التكرار والإطالة ، مثل المدرس الأحمـــق الذي لم يفهم الفكرة التي يتحدث عنها ، أو لا علم عنده، ويريد أن يمـــلأ ســـاعة المحاضرة بأي شيء يجعل الطلاب ينامون ولا يشاغبون فيطيل ويلـــف ويـــدور، لوضع قناع يجعل سامعه يتيه معه. وذلك أمر غير مناسب في الشعر فـــي عصـــر الكتابة إن أمكن التغاضي عنه في الشعر في عصر الرواية الشفوية ..)(٣٠) .

إن هذا الباحث يصرح بكل بساطة بأن القصيـــدة فـــي شـــعر المحافظـــة السعودي تفتقد وحدتها ،وهذا القول جاء في بداية الفقرة وهو حكم نقدي خطـــير كان ينبغي على الكاتب أن يكون حكمه في نهاية الفقرة بعد أن يدرس هذا النـــوع

من الشعر دراسة متأنية متعمقة ويكون الحكم خلاصة لهذه الدراسة. أما أن يـأتي الحكم أولاً فهذا ضرب من العبث الدراسي وهو يـدل علـى أن الأحكـام جـاهزة ومقروءة في أعمال الآخرين ثم تكون بداية لفقرات يبنيها هذا الكاتب أو ذاك .

والشعر العربي ليس نظماً ففي قصائد الفحول منذ العصر الجـاهلي حتـى يوم الناس هذا كثير من التماسك والانسجام والتألق والوحدة التي يعنيها الكـاتب، وإلا فأين ذهبت قصائد النابغة الذبياني التي تدل دلالة واضحة على شـدة أسـرها ومحكم بنائها ولذلك اختير أن يكون حكماً في سوق عكاظ. والتي منها على سبيل المثال بائيته المشهورة في مدح عمرو بن الحارث الجفني التي يقول فيها :

كليني لهمٍّ يـا اميمـةَ نـاصب	وليل أقاسيه بطـيء الكواكـب
تطاول حتى قلت ليس بمنْقَـض	وليس الذي يرعى النجومَ بآيب

وماذا نقول عن قصائد أبي تمام وبشار والبحتري، هل كان التكلف واضحاً كل الوضوح في نظمها أو كانت هذه القصائد تنتمي إلى شعراء التوهم؟ ثم مـاذا نقول عن سيفيات أبي الطيب المتنبي وروميات أبي فراس الحمداني، وأمثال ذلـك وعندنا أيضاً من شعر البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران فـي القصائد الطويلة. فهل يريد هذا الباحث أن يبين أن صفة الطول تقتضـي اختـلال الوحدة، كما تقتضي التكرار والإطالة، ثم إن الكاتب نفسه يقول: (لكن فقدان روابط الوحدة إلى حد التنافر الذي نجده عند سرحان، لا يشيع فـي أشـعار المحـافظين كالغزاوي وشاكر، وضياء الدين رجب وعبد الحق نقشبندي، وإن كان الجميـع لا يحرصون عليها، لو أنك عمدت إلى تقديم أو تأخير الأبيات لما شعر بها الشـاعر نفسه، ربما كاد الغزاوي أن يمسك بخيط القصيدة متتابع الخرز في حولياته التـي يبدأها بحمد الله ، والحديث عن مناسك الحج ثم يمدح الملوك ويهنـئ الحجـاج ،

ينجح كثيراً في تقسيم القصيدة إلى مقاطع ، قد لا يهتم بتماسك المقــاطع وترابــط أبياتها)[٣١] .

إن هذا الكلام يمكن أن يطبق على أي موضوع من موضوعــات الشــعر ويفتقد الشعر بذلك روابط الوحدة ، ويصبح الشعر والنظم واحداً ولا فــرق بيــن الخيال والتوهم لأن الباحث هنا يريد بالحوليات والقصائد الطويلة تلك القصائد التي تقوم على المقاطع ، وهي لا شك فــي أنهــا القصــائد الحضاريــة والتاريخيــة والإسلامية ، وهي من وجهة نظرنا ذات موضوع واحد ، فالبدايــة بحمــد اللــه والحديث عن تاريخ الإسلام والمسلمين والرسول هي من صلب الإطار العام الــذي تحاط به القصيدة ، فكيف نتحدث عن التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية دون أن نحمد الله ونتحدث عن الحج ومناسكه إلى غير ذلك مما له صلة بهذا الإطار.

والتفرقة بين نص يتسم بالوحدة العضوية ونص يفتقدها لا يكون من هذا القبيل، وإنما على الباحث أن ينظر إلى تألق الموضوع ووحدة العاطفة وتماســك الأبيات وإشراق الديباجة ووحدة التجربة والرؤيا في حين أن النص الــذي يفتقــد الوحدة العضوية يكون مهلهلاً بادي العجز ضعيف البنية قريــب المتنــاول خــامد العاطفة سطحي الغور إلى غير ذلك من هذه الصفات التي تــدل علــى التفكــك ، ويمكنك حينذاك أن تستل بيتــاً من هذا وتضعه هناك أو مقطعاً أو تبدأ مــن آخــر القصيدة إلى بدايتها أو غير ذلك وليس هكذا شعر الفحول العرب وليس أيضاً مــن هذا القبيل شعر المطولات في الأدب السعودي الإحيائي.

وإذا توقفنا عند قصيدة طويلة لشاعر من شعراء الإحيــاء ولتكــن مثــلاً قصيدة (قال الحكيم) للشاعر حسين عرب فهي قصيدة طويلة يبلغ عــدد أبياتهــا (١٢٦) بيتاً وهي من (١٨) مقطعاً من بحر البسيط ورويهــا واحد هــو الــلام المضمومة ، وكل مقطع من مقاطعها من (٧) أبيات ، ومطلعها :

قال الحكيم رويـــداً أيهـــا الرجـــل   أضنيت نفسك فيما ليس يحتمل[٣٢]

إن تماسك هذه القصيدة الطويلة واضح في كثير من سماتها ، فالمتكلم في النص واحد وهو الحكيم الذي يقدم نصائحه وخبرته وتجربته ورؤاه للقارئ . وما الحكيم سوى الشاعر نفسه ، ولذلك يأتي مرة بلغة الغائب مثل : قال الحكيم ويأتي مرة أخرى بلغة المفرد المتكلم كقوله :

لقد علمتُ وقد جربتُ ما صعبـــت   به التجارب واستعصت بي الحيل[٣٣]

أما السمة الثانية التي يمكننا أن نتوقف عندها في هذا النص وهي تـــؤدي إلى تماسك بنيانه ووحدته فهي الحكمة والتأمل وهذه السمة من قبيل الموضوع ، أو هي من قبيل وحـــدة التجربـــة وهـــي خلاصـــة لتـــأمل عميـــق فـــي الكـــون والحياةوالمجتمع ؛ ولذلك فإن هذه اللغة هي واحدة وهي لغة يراد منهـــا إيصـــال رسالة من الشاعر إلى المتلقي ، وهذه الرسالة صادقة حـــارة أو هـــي خلاصـــة لتجربته في الحياة .

ومن السمات الأخرى التي تؤدي إلى تماســك النـــص ووحدتـــه الإيقـــاع والموسيقا ووحدة القافية وهذا أمر ضروري في الشعـــر الإحيائـــي ، فالنص على وزن واحد وروي واحد ولغة واحدة . وهذا ما يقرب الأبيات بعضها مـــن بعـــض ويجعلها تتعاضد وتتواشج وتتداخل إضافة إلى أن أسلوب الشاعر واحـــد ولغتَـــهُ واحدةٌ وتراكيبَه متقاربةٌ ، وقد قال الناقد الفرنسي (بيفون): الأسلوب هو الرجل . وما دام الأسلوب واحداً والمتكلم واحداً والموضوع واحداً واللغة واحدة فهذا يـــدل على أن النص متماسك في بنيته وبنائه ووحدته العضوية ووظيفته الإبلاغية .

الـهوامش :

(*) آثرنا هنا أن نبقي لفظة " كلاسيك " على الأدب الأوربي حتى لا نخلط بين المصطلحـــات ، وحتـــى يكون كلامنا دقيقاً ، صحيح أن مصطلح الإحياء قريب من مصطلح الكلاسيكية مع بعض الاختلافات ولكنهما في نهاية الأمرغير متطابقين . فالكلاسيكية في الغرب عودة إلى الماضي في حالةالقوة ، والمذهب الإحيائي عندنا عودة إلى الماضي في حالة الضعف ، أي أن الشعر كـــان قبيـــل عصـــر الإحياء في حالة متردية .

(١) وحي الصحراء صفحة من الأدب العصري في الحجاز ، محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله عمـــر بلخير ، مطبوعات تهامة ، الطبعة الثانية ١٩٨٣م - ص ١٧٥ .

(٢) نقر العصافير، منشورات تهامة سلسلة الكتاب العربي السعودي ٤٤، طبعة أولى، ص ١٩ .

(٣) الينابيع ، نادي جازان الأدبي ، ص ٩٧ .

(٤) المجموعة الكاملـــة ، حسين عرب ، شركة مكة للطباعة والنشر ١٤٠٣هــ الجـــزء الأول ، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٥) المصدر نفسه ص ٨٧ .

(٦) نقلاً عن التيارات الأدبية الحديثة في قلب الجزيرة العربية ، عبدالله عبدالجبار ، معهد الدراســـات العربية القاهرة ١٩٥٩م .

(٧) ديوان المتنبي . بشرح العكبري ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، طبعة الحلبي ١٩٧١م ج٢ ، ص ٣٩ .

(٨) ديوان ضياءالدين رجب ، ص ١٠٨ .

(٩) ديوان الشريف الرضي . دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٨٣م ج٢ ، ص ١٠٧ .

(١٠) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ١٩٣ .

(١١) الشوقيات ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (د.ت) الجزء ٢، ص١٨٠ .

(١٢) ديوان ضياء الدين رجب ، ص ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٤٨ .

(١٤) الألمعيات ، شعر د. زاهر بن عواض الألمعي ، مطابع دار القلم ، بيروت ١٣٩١هـ ، ص .

(١٥) حماسة أبي تمام ، طبعة جامعة الإمام ١٩٨١م ، تحقيق د. عبدالله عبدالرحيم عسيلان ج١ ، ص ٧٧ .

(١٦) في زورقي ، عبدالله بن إدريس ، الرياض شركة العبيكان للطباعة والنشر ١٩٨٤م ، ص ٣٣.

(١٧) المصدر نفسه ، ص ٤١ .

(١٨) ديوان أبي تمام ، بشرح التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م ج١ ، ص ٤٠ .

(١٩) وحي الصحراء صفحة من الأدب العصري في الحجاز ، جمعه محمد سعيد عبدالمقصود وعبدالله عمر بلخير ، الكتاب العربي السعودي ، تهامة جدة ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ص ٧١ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٧٣ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٤ .

(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧٧ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨١ .

(٢٥) الموشح ، للمرزباني ، ص ٢٦٤ .

(٢٦) الينابيع ، ص ٩٦ ـ ٩٨ .

(٢٧) بحوث المؤتمر الأول للأدباء السعوديين ، المجلد الأول ، ص ٢٣١ .

(٢٨) انظر الفصل الأول وهو بعنوان " وحدة القصيدة في النقد الغربي " من كتاب" وحدة القصيدة في النقد العربي الحديث" دكتور خليل الموسى ، منشورات اتحاد الكتاب العرب١٩٩٤م ، ص ص ٢٠ - ٣٣ .

(٢٩) الشعر الحديث في المملكة العربية السعودية خلال نصف قرن (١٣٤٥ - ١٣٩٥هـ) د . عبدالله الحامد ، منشورات نادي المدينة الأدبي (ط١) ١٤٠٨هـ ، ص ١٤٠ .

(٣٠) المصدر السابق ، ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

(٣١) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٣٢) ديوان حسين عرب ، الجزء الثاني ، ص ٨٠ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٨١ .

الجائزة الأدبية بين العطاء والإجلال

ورقة حوار مقدمة لملتقى أبها الثقافي في عام ١٤١٨هـ

د/ عالي سرحان القرشي

(١)

رعت التوجيهات الإسلامية قدرة الإبداع ، فوجّه القرآن الكريم إلى إجلال العلماء ، قال تعالى : { يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير }[١] ، وكان الرسول يستمع الشعر ، ويشير إلى أثره، وقد خلع على كعب بن زهير بردته حين استمع قصيدته :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول   متيم إثرها لم يفد مكبول

فكانت يده على كعب بالعفو عنه ، والصفح عما بدر منه من أذى له ، أوفَى جائزةٍ ، وأتبعها ﷺ بتلك البردة التي توارثها أبناء كعب[٢] .

وقد قدرت العرب الإبداع، وعرفت نفاذه ومضاءه ، فأقامت الولائم والأفراح، حين تتراءى لها مخايل الشاعر، فقد " كانت القبيلة إذا نبغ فيها شاعر، أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذب

عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانـــوا لا يهنئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج "[٣] .

فكان ذلك الإجلال تقديراً لقوة طاقة عرف أثرها ؛ فهو رعاية لها، وتعبير عن الرغبة في الانضواء تحت لواء الإبداع ، ليشترك جميع أبناء القبيلـــة فيـــه ، لأنهم يرون فيه قدرة تمتد بفعلهم البطولي في أفق الشعر ، فتقرُّ بطولاتهم في فعل الكلام ، ويتلوها الزمان رواية بإنشاده.

(٢)

أما المبدع فقد كان حريصاً على إجـــلال إبداعه ، وكـــان ينظر إلى أثـــره نظر المفاخر بما أنجز ، فكان يتيه على الآخرين بقدرتـــه علـــى نســـج أفعـــالهم وأمجادهم بلفظه الذي يتباهى به على الآخريـــن وبالاســـتئناس بعالمـــه الغريـــب المدهش ، يقول المسيب بن علس[٤] :

فلأهدين مـــع الريـــاح قصيـــدة ... منّـــي مغلغلـــة إلـــى القعقـــاع
ترد الميـــاه فمـــاتزال غريبـــة ... في القوم بين تمثـــل وســـماع

ويقول تميم بن مقبل[٥] :

إذا متُّ عن ذكر القوافي تـــرى ... لها قائلاً بعدي أطـــبَّ وأشـــعرا
وأكثر بيتاً ساتراً ضُربـــت لـــه ... حزون جبال الشـــعر حتى تيســـرا
أغَرَّ غريباً يمسح الناس وجهه ... كما تسمح الأيدي الأغرَّ المشـــهرا

ولذلك لم يكن الشاعر يرى في العطاءِ غضاضة ، إذ يرى الجائزة حقاً له ، يفاخر بنيله على النحو الذي نجده عند النابغة في قوله[٦] :

ولكنني كنت أمرأ لــــي جــانب ... من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك وإخوان إذا مــــا لقيتهــم ... أحكــم فـــي أموالهــم وأقــرب
كفعــلك في قوم أراك اصطنعتهــم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبـــوا

وعند ذي الرّمّة في قوله[٧] :

وما كان مـــالي من تراث ورثتـــه ... ولا دية كـــانت ولا كسب مــأثم
ولكن عطاء الله من كـــل رحلـــة ... إلى كل محجوب السرادق خضرم

وقد حمل لنا الأدب العربي صورة لحالات العلاقة بين مانح الجائزة وبيـــن المبدع، أفصح عنها الأخباريون في رواياتهم ، والشعراء في إبداعهـــم ، ويرينــا تأملها ذلك الإجلال للإبـــداع ، وذلـــك الخطر لقدرة الشعراء ، فمن ذلك مـــا أورده ابن رشيق بقوله[٨] : " وهجا الأحوص بن محمد الأنصاري رجلاً مـــن الأنصـــار، يُقال له ابن بشير ، وكان مكثراً ، فاشترى هدية ، ووفـــد بهـــا علـــى الفـــرزدق مستجيراً به، فأجاره ، ثم قال : أين أنت من الأحوص بن محمد ؟ فقال : هو الذي أشكو ، فأطرق الفرزدق ساعة ثم قال : أليس الذي يقول :

ألا قف برسم الدار فاستنطق الرسما ... فقد هاج أحزانى وذكرنى نعمـــى

قال : بلى ! قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشترى ابـــن بشـــير أنفس من الهدية الأولى ، وقدم بها على جرير ، فاستجاره فأجاره ، ثم قال لــــه : ما فعل ابن عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو صاحبي الـــذي هجـــاني ، قـــال : أليس القائل :

تمشي بشتمي في أكاريس مالك يشيد به كالكلب إذ ينبح النجما

قال : بلى ! قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشترى أكـــثر مـــن الهديتين وأهداها إلى الأحوص وصالحه " .

ولو تأملنا هذا الخبر لوجدنا أن مكانة الشاعر ، تبدأ من أهل الشعر ، وأن التعرف على هذا الذي يسعى مستعديا الشاعرين على ابن عمـــه ، يبتـــدئ مـــن معرفتهما بالشاعر ، وأن حوارهما معه آل إلى تذكيره بقدرة طاقـــة ابـــن عمـــه الشعرية ، وأن تلك القوة قد كانت له رسول منعة وحماية عندهما ، فردا المكافأة أمام مكانة شعر الشاعر ، فآل الأمر بابن بشير أن يحذو حذوهما في تقدير شـــعر ابن عمه ، ومعرفة مكانه ، فيؤول استعداء الآخرين عليه إلى تقرب إليه ، ومكافأة يمنحها إياه .

وحين نقف أمام هذا الخبر الذي يذكر المبرد فيه[٩] " أن النعمان كانت لديه حلة ، فقال عندما اجتمعت إليه وفود العرب: احضروا في غد فإني ملبـــس هـــذه الحلة أكرمكم . فحضر القوم جميعاً إلا أوساً، فقيل له : لم تخلفت ؟ فقال : إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء ألا أكون حاضراً، وإن كنت أنا المراد فسأطلب ويعرف مكاني ، فلما جلس النعمان لم ير أوساً ، فقال : اذهبوا إلى أوس ، فقولوا له :

احضر آمنا مما خفت . فحضر فألبس الحلة ، فحسده قـــوم مـــن أهلـــه ، فقالوا للحطيئة : اهجه ولك ثلثمائة ناقة ، فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثا ولا مالاً إلا من عنده ؟! فقال لهم بشر " وهو بشر بن أبـــي خـــازم الأسدي " : أنا أهجوه لكم فأخذ الإبل . وفعل، فأغار أوس على الإبل فاكتســـحها، فجعل لا يستجير حيا إلا قال : قد أجرتك إلا من أوس، فتمكن أوس منه، واستشار

أمه فيه، فقالت : أرى أن ترد عليه ماله ، وتعفو عنه ، وتحبوه ، وأفعل مثل ذلك ، فإنه لا يغسل هجاءه إلا مدحه " وكان ما رأت حيث كان شعر بشر بعد ذلك موئلاً لصور كرم أوس ، وسيادته ، وناطقاً بشكره له ، والاعتراف بمنته عليه .

فنجد أننا في هذا الخبر أمام قوى ثلاث :

قوة الكرم والإجلال ، وقوة المال والجاه ، وقوة الإبداع ، فكانت الأولى حافظة من يقدرونها حق قدرها من الانزلاق في النيل منها ، فكان الحطيئة معترفا بذلك ، حاملاً للمنة ، لا يريد أن يؤذي من أسدى إليه معروفاً .

وكانت الثانية إغراء وقيداً لبشر ، فأغراه المال ، وقيده جاه أوس حين تخلت القبائل عن إجارته .

وكانت الثالثة حامية لعنق بشر من الموت ، وكانت هي الأمل في تطهير أوس من أذى الهجاء ، فتلاقت بعد ذلك القوى الثلاث وصنعت في شعر بشر تلك المدائح في أوس .

وقد حمل لنا الشعر صورة لتلك العلاقة التي يراها الشعراء بين الجائزة والإبداع ، فأخذوا يعلون من شأن شعرهم ، وكأنهم يدفعون عن أنفسهم مظنة التزلف والمجاملة ، وتسخير قوة الشعر لقوة المال إلى الحد الذي نجد فيه تطاول الشاعر على فعل الممدوح ، وجعل شعره في أفق أعلى من ذلك على النحو الذي نجده في قول أبي تمام [١٠] :

وما تنصر الأسياف نصر مديحه	لها عند أبواب الخلائف محضر
إذا ما انطوى عنها اللئيم بسمعه	يكون لها عند الأكارم منشر
لها بين أبواب الملوك مزامر	من الذكر لم تنفخ ولا تتذمر

...

إليك بها عذراء زفـــت كأنهـــا عروس عليها حليهـــا يتكســـر

ولعلّ ذلك الإدلال بشعره ، وبقصيدته العذراء يكسر حدة التصريح بطلـــب العطاء مع الإشعار بالأنفة ، في قوله ، في آخر القصيدة :

أبا الفضل إن الشعر مما يميته إباء الفتى والمجد يحيا ويقـــبر

ويبدو أن تأمل الشعراء لشـــعرهم ، ووصفهـــم لنشـــره ، وقوتـــه أمـــام ممدوحيهم يأتي أحيانا راسما لفضيلتين لكل من الشـــاعر والممـــدوح ، فالشـــاعر يشير إلى شعره ، وحين يضع ذلك أمام الممدوح يشير إلى استحقاقه لهذه القـــدرة التي تسير في ركابه وتنزع إليه ، على النحو الذي يشير إليه أبـــو تمـــام حيـــن يقول(١١) :

هذي القوافي قد أتينـــك نزعـــا تتجشـــم التهجـــير والتغليســـا
من كل شـــاردة تغـــادر بعدهـــا حظ الرجال من القصيد خسيسا
وجديدة المعنى إذا معنى التـــي تشقى بها الأسماع كان لبيســـا
تلهو بعاجل حســـنها وتعدهـــا علقا لأعجـــاز الزمـــان نفيســـا
من دوحة الكلمالتي لـــم تنفـــك يمسي عليك رصينها محبوســـا

فهو حين يتجه إلى الممدوح ، يجعل شعره في حركة ، مع التسليم بقصـــد الممدوح فيدل بشعره ، ويكسر حدة ذلك الإدلال بجعل كل ذلك التجويد والجهد فـــي البحث عن جديد المعنى وحسنه مرتبطـــا بما يراه الممدوح من علاقـــة ونفاســـة لها ، ثم يجعل ذلك الرصين منها مقصوراً على الممدوح .

وكان شعر المتنبي موئلاً لتلك العلاقة بين المكافأة والإبداع ، يرى حينـــا جلال الإبداع، فيتسامى به عن فضائل الممدوح ، ويرى حينا آخر تيهه بنفسه في

ذلك ، فيخلد إلى التواضع وإعلان فضل الممدوح ، وفي أحيان أخر نـــراه يرســم الفضلين متباريين في طريق المجد، ولقد أدى ذلك التقلب إلى أننا نظفر في شـــعر المتنبي بصور دالة على احتدام ذلك الأمر في الذات، واعتلاجه في صدر المتنبـــي هما وقلقا إلي أن يتفرق ويتبدد في حضرة الممدوح، وجمال الإبداع ، يقول[١٢] :

وأعلم أنـــي إذا مـــا اعتــذرت	إليك أراد اعتـــذاري اعتــذارا
ولكن حِمى الشـــعر إلا القليـــ	ـــبل هم حمى النوم إلا غـــرارا
كفـــرتَ مكـــــارمك البــــاهرا	ت إن كان ذلك منـــي اختيـــارا
وما أنا أســـقمت جســـمي بـــه	وما أنا أضرمت في القـلب نــارا
فلا تـــلزمني ذنـــوب الزمــان	إلـــيّ أســـاء وإيـــاي ضــــارا
وعندي لـــك الشـــرد الســـائرا	ت لا يختصصن مـــن الأرض دارا
قواف إذا سرن عــــن مقولـــي	وثبن الجبال وخضـــن البحـــارا
ولي فيك مـــا لـــم يقـــل قـــائل	وما لم يسر قمر حيـــث ســـارا

فتتجلى في هذه الأبيات حركة التوجه نحو الممدوح ، من العزيمة وكبـــح جماح التردد ، وتعليل ذلك ، إلى التصريح بطلب تثمين ذلك الأمر ، وعـــدم تـــرك شخصه نهبا لعوارض الزمن... ويصحب ذلك بسيرورة شـــعره ، وتجـــاوزه فـــي مديحه قول الآخرين .

وظل اعتلاج صورتي هيبة الممدوح وجلاله ، وجلال إبداعه الشعري ، ظل ذلك في شعر المتنبي ملحا عليه لتقديم صورة ذاته وهي توازن بين ذينك الأمرين، حتى آل ذلك إلى تصويره بهجاء النفس ، يقول[١٣] :

ترك مرحيك كالهجـــاء لنفســـي	وقليـــل لـــك المديـــح الكثـــير
غير أني تركت مقتضب الشعـــ	ـر لأمـــر مثلـــي بـــه معـــذور
وسحابك مـــا دحـــاتك لا لفـــ	ـظي وجود على كلامـــي يغـــير

فسقى الله من أحـــب بكفيـــ ك وسـقاك أيهــذا الأمـــير

مما جعله يرى محاصرة العطايا وفضائل الممدوح لشعره ، ولعل المتنبـــي يريد أن يظهر من ظاهر ذلك التواضع الذي يبديه ما للشعر من تقدير حين يظهـــر عزاء للممدوح عن الشعر بأن الممدوح تمدحه سجاياه وعطاياه .

وحين يقول(١٤) :

أحييت للشعراء الشعر فامتدحوا جميع من مدحوه بـــالذي فيكـــا
وعلموا الناس منك المجد واقتـــدروا على دقيق المعاني من معانيكـــا

نجده يمزج بين الحالين ، حال الاعتراف بفضل الممدوح ، وحركة أفعالـــه في استثارة الشعراء ، وحال الإجلال للشعر ، إذ إن الإشارة إلى " أحييت للشعراء الشعر " تشير إلى ترفعهم عما لا يوافق مدى معينا يستثير شـــعرهم ، ويســـتظهر كوامنه ، ومثل هذا ما يظهر في قوله(١٥) :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كلـــه ولكن لشعري فيك من نفسه شعر
وماذا الذي فيه من الحسن رونقا ولكن بدا في وجهه نحوك البشـــر

حيث ترى انصهار عالمي الممدوح والشاعر في حركة متمازجة ، يستثير أحدهما الآخر ؛ الشعر بتحركه نحو الممدوح ، والممدوح ببشره وطلاقته ، لكـــن المتنبي يجعل طاقة الشعر هي الجاذب ، فهو الذي يتحرك بفضائل الممدوح ، وهو الذي يزدان بصياغة تهلل وجه الممدوح في تركيب الشعر ، وجعل القصيـــدة فـــي حـــال بشر وحسن يوازي صنيع الممدوح .

وحين ننظر إلى قوله[١٦] :

إذا شدَّ زندي حسن رأيك في يدي	ضرِبت بنصل يقطع الهام مغمدا
وما أنـــا إلا ســمهري حملتــه	فزين معروضـــا وراع مســددا

نجده يقتحم بمملكة الشعر التي فيها الفصاحة والبيان مملكة الممـــدوح ، فترى في الصورة ميدان الجيش والضرب والطعان .

(٣)

وقد أثر النظر إلى الشعر العربي في ضوء هذه العلاقة بين الجائزة وبيـن المبدع ، إلى أن كان لذلك الأمر حضور في النقد العربي ، كان له صداه في توجيه طريقة الشعر ، وتفسير بنائه ، ورسم ما ينبغي أن تكون عليه ألفاظه ، وصوره ، وابتداعاته ، فمن ذلك مثلاً تفسير ابن قتيبة المشهور لبناء القصيــدة العربيــة ، حيث جعل الأطلال والنسيب تشويقاً لسماع ما يحكيه الشاعر من تعب ونصـــب ، حيث جعـل الرحلــة التي يذكرها الشاعر سعياً إلى الممـــدوح لنيـل الجــائزة ، يقول:[١٧] " ... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له ، عقب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليــل ، وحـر الهجير ، وإنضاء الراحلة والبعير ، فإذا علم أنه قد أوجب علـــى صاحبــه حــق الرجاء ، وذمامة التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المســير بــدأ فــي المديح ، فبعثه على المكافأة ، وهزه للسماح ، وفضله على الأشباه ، وصغر في قدره الجزيل ..." .

وهذا الذي يذكره ابن قتيبة يبرز فيه أمور عدة :

* أنه يحصر الشعر في البحث عن المكافأة .

* أنه لا يعتد ببكاء الديار في بداية القصيدة، إلا من باب أنه سبب لذكـــر أهلهـــا الراحلين عنها، ليكون سبباً لذكر النساء الذي يكون فيه استمالة للقلوب، فكأنه يجعل ذلك بمثابة المقدمة التي لا تعني إلا سبباً داعيـــاً لســـماع المديـــح فـــي القصيدة.

* تجريد وصف الناقة والرحلة من الشاعرية الفاعلة في النص ، فكأنّ ذلـــك لا يكون في النص إلا ليوجب على صاحبه " الممدوح" حـــق الرجـــاء ، وذمامـــة التأميل ، ليبعثه على المكافأة ، ويهزه للسماح ..

* هذا البناء الذي يذكره ابن قتيبة ، ويرتبط بالمكافأة ، يدخل القصيدة العربيـــة في فلك المديح ، وكأنّ أغراض القصيدة العربية منحصرة في ذلك ، وذلك مـــا ينفيه أدنى تأمل ، فمن المعلقات السبع ، نجد معلقات امرئ القيس، وطرفـــة ، وعنترة ، ولبيد ، وعمرو بن كلثوم ليس فيها مديح، وفي قصيدة الحارث بـــن حلزة مديـــح لعمرو بن هند في أبيات محدودة في ســـياق رده علـــى وشـــاية عمرو بن كلثوم بقومه، وقد جاء المديح في معلقة زهير فـــي نســـق إشـــادته بالصلح والسلام ، وبمن تحمل الديات، وبهذا ينتفي غرض الشـــاعر مـــن أن يوجـــب على صاحبه حق الرجاء وذمامة التأميل ليهزه للسماح ، ويبعثـــه على المكافأة. وإذ ينتفي ذلك الغرض من عيون الشعر الجاهلي، يســـقط معـــه صدق ذلك التبرير الذي قدمه ابن قتيبة لتقسيم القصيدة العربية .

(٤)

وفي العصر الحديث كثرت الجوائز الأدبية ، وتبـــاينت أهدافهـــا ، فمنهـــا جوائز تمنحها الحكومات ، ومنها ما تمنحه المؤسسات الخاصة ، مثـــل مؤسســـة الملك فيصل الخيرية ، التي جعلت الأدب العربي ميدانا من الميادين التي تعلن فيها

موضوعات الجائزة ، فكان أحد تلك الميادين الخمسة. فحافظت على الإرث العربي في تقدير الإبداع الأدبي ، ومالت إلى تقدير المبدع، ورفعه عن غضاضة العطـــاء التي أشرنا إليها في تاريخ الجائزة الأدبية ، حين جعلت آلية الجائزة تمر بمراحـل تحديد موضوع الجائزة ، ثم طرح ذلك للترشيح من قبـل الهيئـات والمؤسسـات العلمية ، ثم عرض الأعمال المرشحة على خبراء متخصصين فـــي موضوعـات الجائزة المعلنة لضمان انطباق تلك الأعمال على هذه الموضوعات ، وارتقائها إلى مستوى المنافسة على الجائزة . ثم ترسل الأعمال المرشحة إلى حكـــام عـــالميين ذوي خبرة تامة في موضوعات الجائزة لدراستها ، وكتابة تقـــارير عنهـا ، ثـم تعرض الأعمال المرشحة على لجـــان الاختيـــار الخاصـــة المكونـــة مـــن كبـــار المتخصصين في المملكةوخارجها ، وتقرر هذه اللجان منح الجـــائزة لمـــن تـــراه مستحقاً لها أو حجبها، ثم تعلن الأمانة العامة للجائزة نتـــائج اجتماعـــات لجـــان الاختيار المختصة .

ومن شأن هذه المراحل أن تخلص بالجائزة إلى الإجلال إذ يبذل فيها الجهد والمال ، للبحث عن العمل الذي يرقى إلى مكانة الجائزة، ذلك البحث الذي يتسامى عن غرض خاص بصاحب الجائزة أو القائمين عليها، إلى الظفر بمكسب الإجـــلال لدراسة رائدة في مجالها ، جلت التراث الأدبي العربي ، أو الإبداع الحديـــث ، أو الإجلال لمبدع اتسع إبداعه ، وأحكم خاصياته ، كما هو الشأن في يحيى حقي حين منح الجائزة في مجال القصة القصيرة .

لقد كرمت الجائزة باتجاهها إلى الدراسات الأدبيـــة التـــي تنـــاولت الأدب العربي في النواحي المختلفة ، التي منحت فيها منـــذ تأسيســـها .. كرمـــت هـــذه الجائزة الأدب العربي والثقافة العربية في هيئة تلك الدراسة الفائـــزة؛ لأن تلـــك

الدراسة إنما رشحت لأنها أظهرت جهداً متميزاً جديراً بمستوى الجـــائزة ، جهـــداً بحث ونقب في الإبداع العربي وحاوره ، وأظهر جهد رجاله ، ومنحهم حق الحياة والحركة في حاضرنا حين حرك رؤاهم وأفكارهم . ولما كانت الجائزة تعـــي أنهـــا حين تكرم الجهد المتميز إنما تكرم نفسها ، فلقد بذلت الجهد في أن تظل حيـــاض الجائزة محمية من التغاضي عن القصور ، ومن منح الجائزة لذات المنح ، فكانت مسألة الحجب التي تتخذ بالجرأة نفسها التي يتخذ فيهـــا قرار المنح ، إذ حجبـــت الجائزة مرات عدة ؛ وذك لأن الرؤية تنبع من موضوع الجائزة ، وجهد الدراســـة فيه ، فإذا كانت الدراسة باذلة الجهد ، حكيمة المنهج ، صائبة النتـــائج ، فإنهـــا حينئذ تكون كشافا صادقاً عن ذلك الميدان الذي ارتادته ، ومقدرة لما يحدثه ذلـــك من توجيه نحو التفاعل مع الثقافة العربية، وإرث رجالها، والنمو بذلـــك الإرث ، بتفعيل أسسه مع مستجدات العصر ، وآفاقه الرحبة ، وآلياته المتغيرة .

ولذا رأينا أن جائزة الملك فيصل حفظت الإرث الثقـــافي العربـــي ، حيـــن كرّمت محاوريه، وحفظت التقليد العربي في تكريم الإبداع ، ولكنها تسامت به عن غضاضة العطاء ، وحسد الحاسدين ، فرفعت مكانة الأدباء حين أضنـــت نفســـها جهداً ومالاً في الوصول إلى الدراسة أو الإبداع الذي تجده يستحق التكريـــم... أي أننا بمعنى آخر نستطيع أن نقول إنها قدمت صـــورة جيدة لما ينبغـــي أن يكـــون عليه الحال في تحريك التراث في أفق العصر .

الهوامش :

(١) سورة المجادلة : آية : ١١ .

(٢) البغدادي : خزانة الأدب : ٩/١٥٥ تحقيق عبدالسلام هارون ، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م .

(٣) ابن رشيق : العمدة : ١/٦٥ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجيل ، بيروت .

(٤) المفضليات : ٦٢ تحقيق أحمد محمد شاكر ، عبدالسلام هارون ، دار المعارف، مصر ، الطبعة الخامسة .

(٥) عبدالقاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز : ٥١٢ ، محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .

(٦) ابن رشيق : السابق : ١٧٨ .

(٧) ذو الرمة : ديوانه : ٩٧ ، مكتبة الحياة ، بيروت .

(٨) ابن رشيق : السابق : ١/٦٦ .

(٩) المبرد : الكامل في اللغة والأدب : ١/١٣٧ ، نشر مكتبة المعارف ، بيروت .

(١٠) أبو تمام : ديوانه : ٢٩٩ ، إيليا الحاوي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٨١م.

(١١) السابق : ٣٢٣ .

(١٢) المتنبي : ديوانه : بشرح العكبري : ٢/٩٤ - ٩٦ ، بيروت سنة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م .

(١٣) السابق : ٢/١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٤) السابق : ٢ /٣٧٨ .

(١٥) السابق : ٢/١٥٨ .

(١٦) السابق : ١/٢٩٠ .

أوراق من تاريخ عسير
في فترة حكم الملك عبد العزيز
كما أملاها الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس)

أ.د. غيثان بن علي بن جريس

تمثل الأوراق غير المنشورة – مما يحوي مذكرات كتبت في خضم أحداث معينة وفي حرارة مباشرتها، أو ذكريات كتبت اجترارا لأحداث سابقة – مصــــدراً مهماً للباحثين في دراساتهم العلمية ، ووسيلة لتسجيل تاريخ وأحـــداث لاتجدهــا أحياناً في مصادرنا المعتادة .

ومنطقة عسير – أحد أجزاء شبه الجزيرة العربية – فقيرة فيما دُوِّن عنها في المصادر، ومن ثم نجد التعطش لدى الباحثين في تاريخهـــا لكـــل مـــايمكن أن يصور جانباً من هذا التاريخ في العهود الماضية القريبة ، أو فيما سبق ذلك مــــن أزمنة حتى الجاهلية ، والجدب والفقر فيما دون عن المنطقة في هذه الأزمنة أكثر وضوحاً.

وبناء على كل ذلك، يلمس القارىء أهمية هذه الدراسة التي نقدمها مــــن خلال أوراقٍ أملاها رجل عاش أكثر من قرن من الزمان في حاضرة أبها، وتقلـــب

في العديد من المسؤوليات المتنوعة ، وشاهد بعينه كثيراً من الأحداث التي وقعت في منطقة عسير خلال القرن الرابع عشر الهجري (التاسع عشر والعشرين الميلادي) . إن هذا الرجل هو عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد (ابن إلياس) .

أما المنهج الذي نتبعه في تقديم هذه الأوراق التي وجدناها بعد ابن إلياس، فسوف يكون على النحو التالي : -

أولاً : عرض لبعض المعلومات التي تعرفنا بصاحب هذه الأوراق .

ثانياً : بيان أسباب اختيار هذه الأوراق المخطوطة لتكون موضوع هذه الدراسة ، والقيمة التاريخية لهذه الأوراق ، وماتحويه من حقائق تاريخية .

ثالثاً : وللأهمية التاريخية لهذه الأوراق سوف نورد نصها الذي وصلنا من إملاء صاحبها مع إجراء بعض التحقيقات على مايمكن إصلاحه في الهوامش، وقد أرفقنا مع النص المحقق صورتين لأول صفحة وآخر صفحة في المخطوط الأصلي . كما نورد في نهاية الدراسة وثائق أخرى التي تعكس بعض الحقائق التاريخية عن صاحب هذا المخطوط .

أما صاحب هذه الأوراق ، فيذكر أحد الرواة الذين عرفوا ابن إلياس لمدة تزيد عن سبعين سنة تفصيلات فيقول : - " لقد وفد جد عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد (ابن إلياس) من العراق للعمل في أبها[1] ، وقد تزوج من كبار الأسر فرزق بعبد الرحمن والد عبد الله ، وعندما كبر عبد الرحمن بن أحمد (ابن إلياس) استوطن قرية مشيع في مدينة أبها[2] ، واقتنى من المزارع أغلاها ، ومن الدور أفخرها ، ومن المواشى والأنعام أكثرها، وهي مصدر الرزق آنذاك . وفي أوائل القرن الرابع عشر الهجري، رزق بمولود عام ١٣٠٦هـ[3] ، سماه عبد الله، الذي اكتسب لقب ابن إلياس . وربما كلمة ابن إلياس هذه جاءته من أخواله ،

وهم بيت علم في مرتفعات بلاد عسير، بقرية (آل ويمن)[٤]. وترعرع عبد الله في جو تغمره سعة العيش والرخاء، وقد أدخله والده المدرسة

الرشدية ، التي كانت في مدينة أبها خلال العهد التركي[٥] ، وبعد أن نال قسطاً وافرا من التعليم، وُظِّف كاتباً في محكمة أبها الشرعية ، في أثناء الحكم العثماني[٦] . وكان القاضي آنذاك السيد / عبد الله بشاوري أفندي ، الذي ذكر عنه ابن إلياس أنه علاّمة ، وقد رشح لرئاسة القضاء والإفتاء في عاصمة الدولة العثمانية (استانبول)[٧] .

وقد مات والد عبد الله ابن إلياس في عصر النفوذ التركي على عسير (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) ، فعاش في جو عائلي مشبع بالحنان بين والدته وخالاته الثلاث اللاتي كن من فضليات النساء. وعاصر ابن إلياس فترة زوال الحكم العثماني، ثم ظهور الحكم السعودي ، بل انخرط وساهم في أعمال كثيرة آنئذ في ظل إمرة الأمراء الخمسة الذين توالوا على إمارة عسير منذ دخولها تحت الحكم السعودي[٨] ، فأسهم معهم في أعمال إدارية واستشارية عديدة، كما عاصر عهد إمارة عبد الله بن عسكر[٩] فعمل في أعمال استشارية عديدة ، وأخيراً كلف بالعديد من المسئوليات التي أشارت إليها عشرات الوثائق[١٠] ، ويمكن تلخيص الأعمال التي تولاها ابن إلياس في عهد الدولة السعودية على النحو التالي:-

١ ـ عمل مديراً لمالية أبها من عام ١٣٤٢هـ حتى عام ١٣٥٥هـ .

٢ ـ كلف بأعمال في الشعبة السياسية في الديوان الملكي في الرياض ، وذلك ما بين عامي ١٣٥٧ و ١٣٥٨هـ . وزامنت هذه الفترة وجود كبار المستشارين عند الملك عبد العزيز مثل :- مدحت شيخ الأرض ، وفؤاد حمزة ، وخالد القرقني ، ويوسف ياسين[١١] .

٣ ـ عمل في وزارة المالية مع وزير المالية آنذاك، الشيخ/عبد اللـــه الســـليمان وذلك في الفترة الممتدة من عام ١٣٥٩-١٣٦١هـ، ثم طلب حينئذ إعفاءه من العمل وعاد إلى مدينة أبها ، فعمل في إمارة أبها من عـــام ١٣٦١هـــ حتى أحيل للتقاعد عام ١٣٨٦هـ.

قضي نهاية حياته في منزله الكائن بحي الخالدية في مدينة أبها ، ويتحدث عنه كثير ممن عرفه فيصفه بحسن الخلق، وطيبة النفس إلى جانب أنه كان أميناً مجتهداً مخلصاً في عمله ، كما ذكر عنه أنه كان كريماً ذا شهامة ومروءة ، يعطف على الأيتام والمساكين ، ويساعد المحتاجين ويقضي حاجاتهم.عـــاش قرنـــاً مـــن الزمان ، ووافاه أجلـــه يوم الأربعاء الموافق ١٠ من شهر جمادى الأولـــى عـــام ١٤١٦هـ (١٩٩٦م)[١٢] .

أما عن هذه الأوراق أو هذا المخطوط الذي وصلنا من ابن إلياس، وتقوم عليه هذه الدراسة، فبعد الاطلاع على الوثائق والمراسلات التي كتبها ودونها ابن إلياس بنفسه[١٣]، ثم الاطلاع على هذا المخطوط الذي وصلنا، اتضـــح لنـــا عـــدة أمور، مثل :-

١ ـ أن خط عبد الله ابن إلياس كان جميلاً جداً في رسمه للحرف، فـــي حيـــن أن المخطوط الذي وصلنا، ونحن بصدده في هذه الدراسة، والذي يقع في عشـــر صفحات فقط، لايشبه خط ابن إلياس إطلاقاً ، وإنما الظاهر على هذا المخطوط أنه من إملاء ابن إلياس، وليس بخط يده، ويؤكد لنا ذلك كثير من أصدقائـــه ومن المقربين إليه في حياته. ومن المؤكد أن ابن إلياس فقد بصره في آخـــر عمره، فكان ضريراً حتى وفاته، وبرغم هذا فـــإنه كان قد وصـــل إلـــى ذروة نضجه الفكري، وخلاصة خبرته العملية، ومن ثم يعد هذا المخطوط، في ظـــل هذه الظروف شهادة صدق على العصر الذي عايشه .

٢ ـ أما السبب الرئيس الذي جعلنا نخصص هذه الدراسة لتحقيق هذا المخطـــوط، فهو القيمة التاريخية التي تميز بها، حيث يوجد به معلومات جيـــدة ذكرهـا شاهد عيان للأحداث التي وقعت في منطقة عســير خلال القرن الرابع عشـر الهجري (العشرين الميلادي)، إلى جانب أن مصدر هذه المعلومات كان رجـلاً صاحب مسؤوليات في كثير من المجالات السياسية، والإدارية، والمالية فـــي بلاد عسير وغيرها من أجزاء البلاد الســعودية. ومــن يدقــق النظــر فــي التفصيلات التي وردت بالمخطوط يجدها دقيقة إذ يذكر اليوم والشهر والســنة للكثير من الأحداث، وهذا أمر يصعب أن نجده في أي مصدر آخر.

٣ ـ أما عن المصاعب التي صادفت الباحث في أثناء هذه الدراسة، فتمثلت فـــي محاولة إصلاح ما بدا في المخطوط من ركاكة الأسلوب فـــي العديـد مــن العبارات، إلى جانب أخطاء إملائية ونحوية وأسلوبية، وكذلك طريقـــة رســم الحروف ووضع النقط وغيرها. ويتضح من شكل الكتابة أنها ربما دونت في أواخر القرن الرابع عشر، أو أوائل القرن الخامس عشر الهجري .

وفي الصفحات التالية نورد نص المخطوط كما أملاه ابن إلياس مع إجراء بعض التحقيقات والتعليقات في الحواشي .

التعليم في منطقة :

(١) يقصد الراوي بجد ابن إلياس هنا، أي أحمد ابن إلياس، ولم يذكر الزمن الذي قدم فيه إلى أبها ، ولكن من المؤكد أن ذلك كان في أوائل القرن الثالث عشر الهجري ؛ لأن عبدالله بن إليـــاس ولد منذ أوائل القرن الرابع عشر الهجري .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن مدينة أبها وأحيائها قديماً ، انظر كتابنا : -

أبها حاضرة عسير ... دراسة وثائقية ، ص ٢٢ ومابعدها .

(٣) لقد عثرنا على العديد من الوثائق غير المنشورة التي تؤكد أن مولد عبد الله ابن إلياس كان في عام ١٣١٥هـ ، وليس في عام ١٣٠٦هـ كما ذكر راوي هذه المعلومـــات : يحيـــى بـــن حسن بن مستور. المصدر: وثائق غير منشورة ضمن أوراق مكتبـــة البـــاحث تحـــت الأرقـــام (٢١١٣، ٢١١٨) .

(٤) تقع قرية آل ويمن إلى الغرب من مدينة أبها وإلى الجنوب من جبال السودة، ويوجد حولهـــا مناظر طبيعية جميلة يرتادها الزوار والسياح من داخل منطقة عسير وخارجها.

(٥) ولمزيد من التفصيلات عن تلك المدرسة الرشدية ، انظر كتابنا : - تاريخ التعليم في منطقـــة عسير (١٣٥٤-١٣٨٦هـ/١٩٣٤-١٩٦٦م) . الجزء الأول، ص٣٤ - ٣٥٠

(٦) يقصد بذلك الحكم العثماني الأخير لبلاد عسير من عام (١٢٨٩-١٣٣٧هـ.

لمزيد من التفصيلات عن هذا العصر، انظر مقالنا " وثائق من عسير خـــلال الحكـــم العثمـــاني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ) "، وقد نشر في كتاب :- صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول، ص ٦٧ - ٩٠ .

(٧) لم نجد تفصيلات عن القاضي البشاوري ، وإنما عثرنا على بعض الصكوك والوثائق الشرعية التي تعود إلى فترة قضائه في مدينة أبها خلال عام ١٣٣٠هـ ٠ أما الراوي لهـــذه التفصيـــلات فهو يحيى بن مستور الذي زودني بمذكرة تقع في صفحتين عن عبد الله ابن إليـــاس ، وتوجـــد هذه المذكرة ضمن أوراق الباحث تحت رقم (٢٣٠٨) .

(٨) وأولئك الأمراء الخمسة هم : ــ شويش بن ضويحى ، وعبد الله بن سويلم ، وفهد العقيلـــي ، وسعد بن عفيصان ، ومحمد بن جيفان . وللمزيد انظر كتاب أبها حاضرة عسير، ص ٦٠ .

(٩) يبدو أننا وقعنا في خطأ في حديثنا عن الأمير/ عبد الله بن عسكر في كتابنا : ــ أبها حـــاضرة عسير ... دراسة وثائقية، حيث ذكرنا أن تاريخ إمارته في عسير يمتد من (١٣٤٣-١٣٥٢هـ) في حين أن ابن إلياس في المخطوط الذي سنورده في الصفحات القادمة من هذاالبحث ذكر أنـــه تولى إمارة عسير في شهر رجب عام ١٣٤٢هـ، وفي اليوم العاشر من شهر ربيع الأول عـــام ١٣٥١هـ ، وصل تركي السديري أميراً على منطقة عسير، في حين أن عبدالعزيز العسكر تولى إمارة عسير بعد والده عبد الله العسكر لعدة شهور، فلا يستبعد أن إمارة عبد الله العسكر امتدت من عام ١٣٤٢ حتى عام ١٣٥٠هـ .

(١٠) لدى الباحث عشرات الوثائق التي تعكس الأعمال والمنجزات التي شارك فيها عبد اللـــه بـــن إلياس خلال عصر الحكومة السعودية الحالية ، وهذه الوثائق توجد ضمن أوراق مكتبة البـــاحث تحت الأرقام التالية (٢١١٠ - ٢١٥٩) .

(١١) في حوزة الباحث العديد من الوثائق التي تؤكد صحة هذه الأقوال، وأرقامها ضمن أوراق مكتبة الباحث هي : (٢١١٠ - ٢١٤٥). أيضاً وردت هذه المعلومات في المذكرة التـــي زودنـــا بهـــا الأستاذ/ يحيى بن حسن بن مستور ، ورقمها ضمن أوراق مكتبة الباحث هو (٢٣٠٨) .

(١٢) لقد زودنا الأستاذ / ابن مستور بمعلومات ثرة عن ابن إلياس ، وخصوصاً حـــول مـــا يتعلـــق بلطفه ، وحسن معشره، وأخلاقه ، وكرمه ، وأمانته ، وإخلاصه .

(١٣) يوجد لدى الباحث عشرات الوثائق والمراسلات من تدوين ابن إلياس ، وخصوصاً عندما كان يعمل في مالية أبها ، ويظهر على جميع كتبه ومراسلاته جمال خطه وجودته.

" نص المخطـوط "

{ بسم الله الرحمن الرحيم }

وعلى الله الذي لا إله إلا هو نتوكل ، خالقِ الكائنات، وخالق المخلوقات، مُفَرِّقِ الألوان والأجناس واللغات ، الذي كلَّ يومٍ هو في شأن ، يُعِزُّ من يرى فيـه السداد في كل أمة تؤمن بالله ورسوله .

– وعلى [ذلك][١] ماحصل فيما قدّر الله بقدرته الإلهية، وجعـل ولايتـه الأولى في محمد ابن سعود – رحمه الله – فكان العضيد[٢] المباشر لنشرة دعـوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – وكان ذلـك عـام ١١٥٧هـ، ثـم استرسل بقيامه كراعٍ – عادلاً – ومن عقب عقبه لمدة ١٣٥ عاماً ، ثم حصل على فيصل ما حصل من أسباب وفاته؛ فتوجه الإمام عبد الرحمن بـن فيصـل بأهلـه وذويه إلى الكويت، ومكث هناك ٢٧ عاماً ، ثم أراد الله العلي القدير بـإعادة مجد آل سعود على يد الإمام المظفر، والمؤسس الكبير عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل – طيب الله ثراه – فَغَزَا الرياض بغزوته المظفرة، والرجالِ المخلصين معه (..............)[٣] المعركة التي حصلت بينه وبين عجـلان ، استولـى علـى الرياض، وذلك في عام ١٣١٩هـ ، ومن يومها وهو يجاهد في إخراج كل دخيـل في نجد ، وفي إزالة درن التناحر والخوف من كل قبيلة بعضها على الآخر ، وقـد استغرق جهاده المظفر لمدة ١٩ عاماً .

وفي سنة ١٣٣٨هـ وجّه غزوة تحت قيادة سمو الأمير عبد العزيز بـن مساعد –

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله الذي لا إله إلا هو نوع لحكمه خالق الكائنات وخالق
المخلوقات مختلف الألوان والأجناس واللغات الذي كل يوم
هو في شأن يعز من يرى فيه السداد في كل ذرة نؤمن بالله ورسوله وبكل
ما حصل فيما قدره الله بقدرته الأزلية وجعل ولاية الأولى لمحمد بن سعود رحمه الله فكان
العضيد الباشر لنشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان ذلك عام ١١٥٧ هـ
ثم استمر تسلسل بقيامه حكام عادلين ومن عقب عقبه لمدة ٢٢٥ عاماً ثم حصل على ما حصل
من أسباب وفاته فتوجه الإمام عبد الرحمن بن فيصل بأهله ونزح إلى الكويت ومكث
هناك ١٠ أعوام ثم أراد الله العلي القدير بإعادة مجد آل سعود على يد الإمام المظفر والملك الأكبر
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل طيب الله ثراه فغزا الرياض بغزوته المظفرة والرجال المخلصين معه وقتل
بالمعركة التي حصلت بينه وبين عجلان استولى على الرياض وذلك في عام ١٣١٩ ومن يومها وهو
يجاهد في إخراج كل دخيل في الجزيرة وإزالة دون السماح والخوف من كل ... في الأخرة وتحت
قيادة المظفر لمدة ١٩ عاماً وفي سنة ١٣٢٨ هـ وجه غزوة تحت قيادة أخيه الأمير عبد العزيز بن مساعد وتوجه
إلى أبها ... في اليوم الثامن عشر من شهر شوال من عام ١٣٢٨ هـ وبعد المعركة التي حصلت في ...
يوم ... من شهر ... آل عايض وفي القنفذة ... مبلغ من ... ما نكفش
الجنود المذكورة ... محمد بن سلطان لمدة وجيزة ثم وكل بالنيابة عبد الله بن أحمد بن ... وتوجه إلى
الرياض وذلك في يوم ١٨ القعدة من نفس العام ثم وصل محمد بن عبد الله الحجازي ومن رفقته كلاً من محمد
آل يحيا آل راشد وصالح بن عبد الواحد وسلمان بن محمد وإبراهيم بن جيزان ومفرح العتيبي ولوازم ... حيث قام
محمد الحجازي بتعديل ... لسكن الأمير القادم في يوم ٣ محرم عام ١٣٢٩ هـ
التحقت بالخدمة بأمر محمد الحجازي كاتب براتب ١٥ ريالاً شهرياً ثم صار قدوم الأمير ...
بن مساعد أخيه عبد الله ... ويرافقه المرحوم الشيخ محمد بن عبد اللطيف ...
كلاً من ابن أخيه ... وعبد الله بن عمار للقضاء والإرشاد وذلك في يوم ١٣
صفر عام ١٣٢٩ هـ وكان يرافقهم آل عائض جميعهم ومن ضمنهم محمد بن عبد الرحمن الذي رافق
الأمير المذكور ثم استمر الأمير ... في إمارته حتى يوم ١٢ جمادى الثاني
حيث عزل عن إمارته ... للقيام بإمارة أبها

صورة الصفحة الاولى من المخطوط

وذلك في ١٨ من شهر شوال - إلى أبها - عاصمة عسير - في اليـــوم الثـــامن عشر من شهر شوال من عام ١٣٣٨هـ ، وبعد المعركة التي حصلت في حجـــلاء يوم الخميس من الشهـــر نفسه ، وقد ألقى القبض على أسرة آل عائض ، وفـــي المقدمة حسن بن علي وإخوته ، فانكفش[٤] الجنود المذكورة ، وبقي محمـــد بـــن سلطان لمدة وجيزة ثم وكّل بالنيابة عبد الله ابن أحمد بن مفرح ، وتوجـــه إلـــى الرياض ، وذلك في يوم ١٨ [من ذي] القعدة من نفس العام .

ثم وصل محمد بن عبدالله الحجازي ومرافقوه، كل[٥] من: محمد آل محيا آل راشد، وصالح بن عبد الواحد، وسلمان بن محمد، وإبراهيم بن حيزان، ومفرح العتيبي، ونوار العتيبي؛ حيث قام محمد الحجازي بتعديل قصر شدا ليصبح ملائمـــاً لسكنى الأمير القادم .

وفي يوم ٣ [من] محرم عام ١٣٣٩هـ التحقت بالخدمة بـــأمر محمـــد الحجازي كاتبا[٦] براتب ١٥ ريالاً شهرياً[٧] .

ثم صار قدوم الأمير المعين لإمارة أبها عبد اللـــه شـــويش الوضيحـــي[٨] يرافقه المرحوم الشيخ محمد بن عبد اللطيف، [و] يرافق الشيخ كل[٩] من ابـــن أخيه ، وفهد الصميـــت ، وعبد الله بن عمار للقضاء والإرشاد ، وذلك في يـــوم ١٣ [من] صفر عام ١٣٣٩هـ، وكان يرافقهـــم آل عـــائض جميعهـــم ، ومـــن ضمنهم محمد بن عبد الرحمن الذي راحمه[١٠] الأمير المذكور .

ثم استمر الأمير شويش في إمارتـــه حتـــى يـــوم ١٢ [مـــن] جمـــادى الآخرة[١١] ؛ حيث عُزل عن إمارته ، وتعيَّن بدلاً عنه للقيام بـــإمارة أبها عبد الله بن سويلم - اعتباراً من ١٢ [من] جمادى الآخرة[١٢] عام ١٣٣٩هـ ، واســـتمر هذا الأمير حتى آخر شهر ذي القعدة من عام ١٣٣٩هـ، ثم عُزل ووصـــل بـــدلاً

منه فهد العقيلي ، يرافقه الشـــيخ ناصر بن عبد العزيز آل حســـن – خلفــاً عـــن الشيخ محمد بن عبد اللطيف – للقيام بالقضاء، حيث استمر العقيلي في الإمـــارة حتى يوم ١٨ [من] ربيع الأول من ســـنة ١٣٤٠هـــ ، وقد حوصر ومن معه في قصر شـــدا من قبل قبائل عسير وكنت أنا – عبد الله بن إلياس – من ضمـــن(١٣) المحصورين في هذا الحصار.

وفي نهاية الشهر حصل الصلح بين الأمير سالف الذكر وحسن بن علي بن عائض على أن يخرج العقيلي ومن معه من (أخوياه) بسلاحهم ، وكل مالهم فـــي وجوه القبائل، على شرط أن يتوجه(١٤) الأمير هو (وأخوياه) إلى الرياض دون أن يبقوا في الخميس أو في بيشة آنذاك ؛ إلا أنه مع وصول فهد العقيلي وأخوياه إلى الخميس وردت(١٥) رسائل كل من سعد بن عفيصان أمير الدواسر آنذاك ، وأمـــير بيشة ابن ثنيان يطلبون تأخره في الخميـــس، وهـــم و(غزوانهـــم)(١٦) ســـيصلون لنصرته و(أخوياه) في الوقت المعين .

ثم غزت قبائل عسير الخميس ، وبعد معركة دارت هناك ألقى العســـيريون القبض على العقيلي ، والشيخ ناصر سالف الذكر ، وسعد بن سعيدان المطوع .

وقد منع العقيليَ ومرافقيه المذكورين الشيخُ محمد بن زايد شيخُ القصـــير من قبيلة علكم – على أن لايُمَسُّوا بأذى .

ثم استمرت الأمور ، واستمرت قبائل عسير حتى وصلت قرية آل عـــابس في بلاد عبيده آل الصقر، ثم عاد إلى أبها ، واستمر الوضع حتى نهايـــة جمـــادى الأولى عام ١٣٤٠هـــ.

وصلت الجيوش في يوم ٢٢ [من] جمادى الآخرة(١٧) إلى بيشة ، ثم أبها تحت قيادة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود – ومنهـــا توجهت إلى الخميـــس، ومن الخميـــس إلى أبها – يرافقه في تلك الحملة الشـــيخ

عبد الله بن حسن - يرحمه الله - وسلطان بن بجاد ، والدويــش ، والدهينــة ، وخليل بن عمر بن قرملة ، وغيرهم من الحضر والبدو .

وقد هرب كل[١٨] من حسن بن علي بن عائض وبعض أسرته ، والتجــؤوا بالشريف الحسين شريف مكة ، وكانت إقامتهم عند أمير القنفذة عبــد اللــه بــن حمزة.

وفــي [تلك] الأثناء ، وصلتــني رسالة من محمد الحجازي الــذي لازال يبحث عن موقع إقامتي وطلب حضوري لديه في دار أرحامه آل بــن عبشــان - وصلت إلى المذكور و(أنها أنا وياه)[١٩] وفي صلاة فجر تلك الليلة (تواجدنا) في مسجد برزان الذي كان فضيلة الشيخ عبد الله بن حسن طيب الله ثراه يصلي في ذلك المسجد، ثم سبقناه في منزله الذي يسكن فيه .

وبعد وصوله ذكر له محمد بن عبد الله الحجازي عن موضوع (تواجدي) في القصر إبان ثورة عسير على الأمير فهد العقيلي و(أخوياه) .

وبعد ذلك مشينا (الجميع) مع فضيلة الشيخ ، حتى حظيتُ بــالمثول بيــن أيادي قائد السرايا التي وصلت لإخماد ثورة عسير تحت قيادة الملك فيصل بن عبد العزيز - تغمده الله برحمته ورضوانــه - وبعــد (قناعتــه) رحمه الله أمــر بأن أكون عند أمير البيارق المدعو إبراهيم بن ودعان ؛ وذلك لقيام إبراهيــم بــن ودعان المذكور بحلّ مشاكل الغزوان - كشبه كاتب عنده .

ومن ضمنها [ما] حصل بين غزوان آل عسيلة وغزوان آل جميح في شأن بكرة ضلت، وذهبت من إبل آل جميح .

وفي تلك اللحظة أظهروا من السجن كلاً من عبيد الحريقي ومحمد العبسي من عبيد المذنب ، وكان صدور الأمر بــ (طق) هؤلاء الاثنين الســالف ذكرهمــا حتى الموت ؛ وذلك بسبب بقائهما في الخميس بعد غزو عسير إلى الخميس .

أما عبد العزيز الطبقا القحطاني وحمران الشدى ، فهــؤلاء هربــوا بعــد اختفائهما مع عبيد الحريقي، ومحمد العبسى ، وهذا[٢٠] مما يثبت لكل من يعــرف الغزو آنذاك ، ومنهم جراب بن حسن ، على مطاردة آل عائض .

مشت بعض (الغزوان) التي تحت قيادة سلطان بن بجــاد ، والدويــش ، والدهينة ، وخليل ابن عمر بن قرمله شيخ بادية قحطان نجد .

وقد صدر أمر قائد الحملة صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بــن عبــد العزيز بعدم احتكاك الجيوش السعودية بحدود الشريف الحسين ، وأمرهم بــالعودة إلى أبها . وقد مكث الأمير فيصل مع جيشه في أبها حتى ١٨ [من] شــوال مــن العام ١٣٤٠هــ، ثم تعين بــأمره لإمارة أبها سعد بن ســليمان بــن عفيصــان ، وللقضاء ناصر بن عبد العزيز آل حسن ، وشيّخ الأمير فيصل على قبيلة بني مغيد الشيخ علي ابن محمد بن مشيبة، وتعيّنت أنا - عبد الله بن إلياس - بأمره الكريم وكيلاً للمالية؛ وذلك بعد (قناعة) سموه التامة (بتواجدي) ضمن من حوصــر فــي القصر مع العقيلي .

ثم توجه صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز مع جيشه إلى الرياض ، وقد تعين من الغزو مع بن عفيصان ، وهم مــن الدواســر والحوطــة والخرج. واستمرت الأمور على ماذكر حتى[٢١] يوم ٢٢ من شــهر صفــر عــام ١٣٤١هــ ، حيث وصلت السرية التي كانت بــأمر الشــريف الحســين ؛ وذلــك لمناصرة آل عائض - السرية التي قابلتها في الدرجة[٢٢] تحت قيادة سليمان بــن سعد بن عفيصان ، وصلت إلى الدرجة ، وهناك كانت المعركة .

وقد قُتل القائد سليمان بن سعد بن عفيصان، وولد محمد بن دليم المسمى علي ، ومحفر عبد آل عائض ، وغيرهم .

ثم تراجعت السرية السعودية ، وتفرق الكثير ، ومنهم القليل من دخل القصر مع كل من جعفر بن عبود، وجراب بن حسن مع (أخويا) الإمارة ، ثم وصل محمد بن دليم أبو لعثه على أساس ما بلغه من خبر قتلة ولده وهو ملازم القصر مع بن عفيصان.

أما شيخ علكم أحمد بن حامد ، فقد انضم إلى من كان بالقصر يرافقه محمد بن زايد من قصير علكم(٢٣) ، ومحمد بن أحمد بن يحيى .

أما شيخ بني مغيد المدعو علي بن محمد بن مشيبه يرافقه أحد عشر نائباً من نواب قبيلة بني مغيد، وانضم مع من كان بالقصر، ومن ضمنهم الشيخ عبد الله بن أحمد بن مفرح . وقد تواجدت أنا - عبد الله بن إلياس - من ضمنهم بالقصر ، وأغلق القصر على من فيه ، وصار المدفع بعد كل عصر يرمي شدا من جبل شمسان ، والرشاش يرمي من بيت دابدة زوجة علي الصنعاني ، والأخرى ترمي من منزل محمد الراقدي في الربوع .

واستمر الحصار من ٢٥ [من] صفر حتى ١٢ [من] ربيع الأول ، ثم قدمت السرية من الرياض تحت قيادة مترك بن عشق بن شفلوت يرافقه في تلك الحملة محمد بن سعد ابن جيفان ، ولدى وصولها إلى الخميس هربت سرية الشريف الحسين تحت قيادة الشريف راجح ، وعبد المعين السالف الذكر منهما ومن معهما ليلاً ، ومن ضمنهم أسرة آل عائض بدون قتال ، ودخلت السرية أبها، وفتح القصر بنصر من الله تعالى ؛ وذلك بحسن نوايا الملك عبد العزيز يرحمه الله تعالى .

وفي أواخر شهر ربيع الأول عام ١٣٤١هـ توفي سعد بن عفيصان - رحمه الله - وبعد دفنه ليلا قام كل(٢٤) من محمد بن دليم ، وعلي بن محمد بن

مشيبه ، وأحمد بن حامد، وعبدالله بن أحمد ، وأنا – عبد اللـــــه بـــن إليـــاس – واتفقنا على تكليف محمد بن سعد بن جيفان بالقيام بأعمـــال الإمـــارة ، وبـــالفعل حضرنا في قصر شدا، فاعتذر المذكور بقوله :

إنه كان [في] مجيئه مرافقاً[٢٥] للسرية ، ولايمكن أن يقبل القيام بأعمال الإمارة إلا بأمر من الإمام عبد العزيز – طيب الله ثراه – وفي تلك اللحظـــة قـــام محمد بن دليم وطلب منه أن يقوم بأعمال الإمارة ، والتزم[٢٦] لـــــه محمـــد بأنـــه المسؤول فيما ذكر قائلا له : إن قصدنا نرفـــع للإمـــام التعزية فـــــي ســـعد بـــن عفيصان ، ونخبره بما حصل، وعلى كلٍ حال فالأمر لله، ثم لإمام المسلمين .

وعند ذلك ، وبعد إعطائه تعهداً[٢٧] من ابن دليم ، وشـــــهادتنا – [نحـــن] الحاضرين – وافق على القيام بأعمال الإمارة حتى يصدر الأمر الأخير ، وطلبنـــــا منه قيام أحد (أخوياه) بحمل رسالتنا إلى الملك عبد العزيز .

وقد قام بأعمال الإمارة حتى آخر جمادى الآخرة[٢٨] ، حيث وصـــــل عبـــد العزيز بن إبراهيم أميراً معيناً لإمارة عسير في أول يوم [من] شهر رجب عـــــام ١٣٤١هــــ، وقد استمر أميراً للمنطقة حتى آخر شهر جمادى الأولى .

ومن نفس العام ، وصلت السرية تحت قيادة عبد الرحمـــــن بـــن ســـعيد ، ورابطت في حجلاء بهدف الاستطلاع عن بعض الأشياء بموجب التعليمات الخفية التي كان يحملها القائد المذكور، وذلك في عهد إمارة عبد العزيز بن إبراهيم .

وفي شهر محرم عام ١٣٤٢هــــ، وعلى ما حصل من كسيرة راجـــح بـــن عرفج وعبد المعين ومن معهم من السرية ، ووصول آل عائض إلى القنفذة، لــــم يعد الشريف الحسين يصرف لهم شيئا[٢٩] يقوم بتأمين معيشتهم، على ذلك طلبـــوا

في وصول أحمد بن محيي من سكان السقي، وقد وصل المذكور إلى القنفذة ، ثـــم كتب حسن بن علي بن عائض معه رسائل إلى كلٍ[٣٠] من ابن دليم ، وســـعيد بـــن مشيط ، والثالثة للأمير عبـــدالعزيز بن إبراهيم يطلبون عودتهم إلى بلاد عسير .

وقد وصل أحمد بن محيي برسائل لآل عائض إلـــى المذكوريـــن ، فلبـــوا الطلب ، ورافقوا المذكور ، وقابلوا الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، فرحب بطلبهم على أن يكون وصولهم إلى بلدهم آمنين ، وفي حالة ما يطلبهم الملك عبد العزيز – رحمه الله – فـــإنه يجب عليهم السمع والطاعة ؛ حيث يكون وفودهم إلى إمام عادل ، وقد وافقوا على ذلك .

وعند وصولهم قام الأمير عبد العزيز بما يجب اتخاذه من إكرامهم .

وبعد تداول الآراء اتفقوا على أن يذهبـــوا[٣١] بـــدون طلـــب ، وعلـــى أن يرافقهم كلٌ[٣٢] من محمد بن دليم، وعلي بن مشيبه ، وعبد الله بن أحمد بن مفرح ، ومرافق مندوب من الإمارة ، وهو صالح آل جبر . وقد توجهوا إلى الريـــاض ، وهذه هي الحقيقة .

وفي شهر رجب من نفس العام عُزِل الأمير عبد العزيـــز بـــن إبراهيـــم ، ووصل خلفاً عنه الأمير عبد الله بن إبراهيم بن عسكر أميراً للمنطقة ، وكان يحمل معه الأمر الكريم بتعيين الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة وكيلاً للمالية ، من أجل مـــا ارتآه جلالة مولاي الملك عبد العزيز من المصلحة، والأمر الآخر باسمي أنا – عبد الله بن إلياس – بأن أكون مديراً مسؤولاً في أعمال مالية أبها ، وما يتبعها مـــن المراكز .

وفي أثناء إمارته ، وفي شهر جمادى الأولى عام ١٣٤٣هـ وصل الأمـــر بتوجه (غزوان عســـير) ــ كلٍ[٣٣] من قبائل عســـير الأربع ، وقحطان الحاضرة

، ورجـال الحجر - إلـى حدود بني عمرو [و] غزو قبائل شهران ، الذي يبلـغ عدد الكل ٢٥٠٠ غاز[٣٤] ، ثم جهزت الغزوان المذكـورة بمـا يـلزم لهـم مـن (التزهيب)[٣٥] اللازم. وقد تلقيت أنا - عبدالله بن إلياس ـ الأوامر فـي إرسـال الطلبات من القهوة، والغنم ، والدهن ، والحبوب كالشعير على ما قدم من الأوامر، وعلى أن يكون إرسال الطلبات مع مستنداتها إلى عبد الله الشبيلي (أبـو حمـاد) وحيث لم يكن آنذاك من الأشياء المطلوبة[٣٦] طبع الأوامر ، ممـا أوجـب الحـال إرسال كل أمر مع بيانات أنواع الإرسالية ، وذلك إلى عبد الله الشبيلي .

وفي شهر ربيع الأول ١٣٤٣هـ وقع زحف الجيوش السعودية المنصورة لغزو الطائف. وقد سقطت الطائف ، واستمرت الجيوش حتى وصلت إلى الرغامة . وفي أثناء ذلك توجه الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة يرافقه محمد آل أحمد العسكر ، ومن معهما من الأخويا، إلى محايل وبارق للاستحصال - الجهاز النقدي .

وفي عام ١٣٤٤هـ : وفي هذا العام ، مشيت أنا - عبد الله بن إلياس - بالمحاسبة ولأول مرة حظيتُ بالمثول بين يدي جلالة المغفـور لـه الملـك عبـد العزيز.

وفي عام ١٣٤٥هـ : وصل ابن سليم لاستلام أعمال إمارة القنفذة ، وفي شهر ذي الحجة من هذا العام توجه علي عبده الهلالي لأداء فريضة الحـج ، ثـم طلب [من] الملك عبد العزيز بأن يدخل البرك من ضمن الدولة السـعودية، وذلـك على أثر مشكلة حصلت بينه وبين الأدارسة .

وفي عام ١٣٤٦هـ : صار التعدي من شيخ بني مالك [بـ] الطـائف ، عبدالله بن فاضل وقتل العاملة، وصدر الأمر بتزهيب الغزو من[٣٧] محايل وبـارق مع غزو القنفذة ، وقد كان قائد هذه السرية فهد بن زعير، وانتهت على مايرام .

وفي عام ١٣٤٧هـ : تعيين عبد الله بن خثلان مندوباً من قبل الحكومة السعودية في جيزان ، وذلك في عهد قيام الحسن بن علي الإدريسي بأعمال إمارة جيزان وتوابعها، ثم عُزِل عبدالله بن خثلان في نفس العام، وتعيّن خلفاً عنه صالح بن عبد الواحد، ثم بعدها صار تنازل الحسن بن علي الإدريسي عن الحكم في جيزان وتوابعها؛ حيث عُزِل صالح بن عبدالواحد، وتعين لإمارة جيزان وتوابعها لأول مرة فهد بن زعي، ثم عُزِل فهد بن زعير، وتعين خلفاً عنه حمد الشويعر .

وفي العام نفسه : صارت قضية السُبلة " البدو " في حركة بادية نجد ، وقد انتهت بسلام، والحمد لله .

وفي عام ١٣٤٨هـ في شهر رجب ، وعلى هذه استمر الشويعر في إمارته ، وتعيين حمد العبدلي لرئاسة مالية جيزان وتوابعها .

وفي عام ١٣٤٩هـ وفي شهر ربيع الثاني ، صار بعض الإشكال بين يحيى حميد الدين والملك عبد العزيز في موضوع منبه العر ، فاتفق كل من يحيى بن حميد الدين والملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - لتعيين وفدين من الحكومتين لحلّ الخلاف، وأمر الملك عبدالعزيز بتعيين الوفد السعودي تحت رئاسة المرحوم عبد الله بن معمر أمير بيشة ، وكلٍ[٣٨] من محمد بن دليم وفهد بن زعير أمير القنفذة آنذاك، والشيخ عبدالوهاب أبو ملحة، وأنا عبدالله بن إلياس - كمرافق ، والشيخ محمد يحيى عوض باصهي ، وحمد العبدلي .

وفي حالة وصولنا إلى أبي عريش وصل برقية باسم رئيس الوفد من المرحوم الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه - يذكر فيها بأن محمد يحيى باصهي (تعذر) بحيث كان مركز الوفدين في جبل النظير ، وقد وصل خلفاً عنه الشريف محمد علي الحازمي، ثم توجهنا حتى وصلنا إلى جبل النظير ، ثم حصل عدم

اتفاق فيها بين الوفدين ؛ وعليه رفع يحيى حميد الدين للملك عبد العزيز ، فصدر الأمر بنزول الوفدين اليمني والسعودي إلى أبي عريش، ومن هناك رجعنا إلى أبي عريش حيث حكم حميد الدين في موضع منبه العر سالف الذكر، فصدر أمر الملك عبدالعزيز بتنازله عن منبه العر ، ثم اتفق الوفدان[٣٩] في وضـــع الحـــدود علـــى الطريقة التي ترضي الحكومتين وقد انتهت الأمور على مايرام، وعاد وفد حميـــد الدين إلى حكومته ، والوفد السعودي في طريقه إلى جيزان، ثم وصلت[٤٠] برقيـــة بشفرة الشيخ عبدالوهاب أبو ملحة على أن يكون رئيس الوفد عبد الله بن معمـــر (ورفقاه) يبقون، وعلى أني أنا - عبدالله بن إلياس - أتوجه إلى أبها لقيـــامي بتزهيب السرية التي كانت قد وفدت تحت قيادة إبراهيم بن[٤١] جمـــاز ، ونزولهـــا إلى حيث إقامة الوفد السعودي لإجراء ما يجب إجراؤه من إصلاحات في قبائل فيفا وبني مالك وبني غازي وما يليها .

ثم انتهت الأمور على الوجه المطلوب ، وصدر الأمر بعزل حمد الشويعر ، وعزل حمد العبدلي ، وتعيين فهد بن زعير أميراً لجيزان ، وقد صدر الأمـــر مـــن جلالة مولاي الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه .

وفي شهر رمضان (استلمت) الأمر الملكي المطاع برقيـــا بتوجهـــي إلـــى جيزان لحضور دور التسليم فيما بين رئيس مالية جيزان حمد العبدلي وأحمد أبـــو هليل (المستلم) لمهمة مالية جيزان . وقد توجهت وحضرت إجراء الدور والتسليم ما بين السلف والخلف، ثم انتهت على مايرام .

وتوجهنا إلى أبها ، ومن أبها توجه رئيس الوفد إلى مقر إمارته في بيشة، وعاد إبراهيم الجماز ومن معه من السرية إلى أبها ، ثم إلى الرياض .

واستمر عبد العزيز بن عسكر في الإمارة حتى ١٣٥٠/٣/١٠هـ .

وفي شهر صفر - يوم ١١ - من عام ١٣٥٠هـ ثَمَّ ثورة الإدريسي على الطارفة الذي كان في إمارتها فهد بن زعير - كما أسلفت سابقاً - وصدر الأمر بإحضار غزو عسير، وكانت تحت قيادة الشيخ عبد الوهاب أبو ملحة ، ثم توجهت السرية حتى وصلت إلى صبياء بدون أي معارضة ؛ وهذا من حسن نوايا جلالة مولاي الملك عبد العزيز .

ثم بعدها وصلت غزوان الوديان تحت قيادة خالد بن لوي ، ثم وصلوا إلى أبها، وقد اعترى خالد بن لوي المرض ، وتوجه على أكتاف الرجال - وذلك في أواخر شهر رجب من العام نفسه ١٣٥٠هـ - حتى وصل إلى وادي بيض، وهناك توفاه الله .

وقد صدر الأمر بأن يكون سعد بن خالد بن لوي قائداً لغزو عسير والوديان .

وفي شهر رمضان من نفس [العام] قدم صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن مساعد ، ومن يرافقه من الغزو من بدو وحاضرة ، وتوجه بعض قبائل جيزان الذين (تواجدوا) في الدرب قرب الملحاء ، ثم مشت الغزوان حتى صارت المعركة بينهم وبين بني غازي ومن تبعهم .

ثم وصل عمر بن ربيعان ومن يرافقه من الغزو وبادية نجد وقدرهم ٧٠٠٠ جندي، وتوجهت في طريقها بعد تزهيبهم بكل مايلزم ، حتى التحقت بمن قبلها من الغزوان ، وصار القائد العام آنذاك المرحوم سمو الأمير عبد العزيز بن مساعد .

وبعدما انتهت الأمور على الوجه المرغوب ، [كان] تعيين حمد الشويعر لإمارة جيزان للمرة الثانية .

وفي عام ١٣٥١هـ في شهر ربيـع الأول - يـوم ١٠- وصـل تركـي السديري أميراً لمنطقة عسير، يرافقه ١٠٠٠ جندي من الهجانة تحت قيادة صالح البلاع .

وفي عام ١٣٥٢هـ من شهر رجب ، وصل محمد بن سـلطان فـي ٢٥ سيارة لوري محملة بالسلاح والمعدات ، وعند وصولهـم إلـى الخميـس طلـب حضوري أنا - عبد الله بن إلياس - لكون الشيخ عبـد الوهـاب مريضـاً[٤٢] و (استلمنا) الأسلحة بما فيها من البيانات الممثلة لمن يصل إلى أبها والخميس مـن الغزو ، و(استلمنا) ذلك ، ورجع محمد بن سلطان لكونه قائد الهجانة العامة .

وفي شهر شعبان من عام ١٣٥٢هـ قدم صاحب السمو الأمير فيصل بـن سعد ومن يرافقه من الغزوان ، ثم وصلت بعض الأرزاق من الخزينة الخاصـة ، وكان ذلك في شهر رمضان من عام ١٣٥٢هـ ، حتى كان قدوم سـيدي الأمـير سعود - طيب الله ثراه - ومن معه من الأسرة والغزو .

ثم وصل وفد الإمام يحيى تحت رئاسة عبد الله بن الوزير ، ومن معهـم : عبدالله زبارة، وعبد الله بن مناع ، ومرافقوهم ، والوفد السعودي تحت رئاسـة فؤاد حمزة ورفاقه .

ومنها استمررنا[٤٣] في العمل في كل مايلزم لا من ناحية الغـزو وقادتـه [فحسب] ، ولا من ناحية مايلزم للوفدين اليمني والسعودي .

وبعد عدم الاتفاق بين الوفدين ، صدر الأمر بغزو الجيوش السعودية إلـى نجران، والجبهة الثانية الحماد[٤٤] ، والثالثة ظهران الجنوب .

ولازلنا مابين تحميل مايجب إرساله في الجبهات الثلاث[٤٥] ، وما نقوم به من التزهيب للغزو حتى كان انتهاء المهمة في شهر رجب عام ١٣٥٣هـ .

وفي عام ١٣٥٧هـ وصلت إلى الرياض في شهر جمادى الأولى من العام نفسه، تعينت بأمر مولاي الملك عبدالعزيز - طيب الله ثراه - في عمل كتابي في الشعبة السياسية .

واستمررت [٤٦] في العمل إلى ١٨ [من] ذي القعدة عام ١٣٥٨هـ ، ثم صدر الأمر بموجب طلبي ، وبعد توصية جلالة مولاي الملك عبد العزيز على وزير المالية آنذاك عبدالله السليمان (....؟).

ثم مكثت في المكتب الخاص ، مابين المكتب الخاص وإلى قسم " اللوازمات" [٤٧] التي كانت تحت رئاسة عبد الله السعد .

ثم في شهر صفر - يوم ٦ - من عام ١٣٦١هـ طلبت الإعفاء ، وتوجهت إلى أبها.

وقد توفي جلالة مولاي الملك عبد العزيز - طيب الله ثراه - عام ١٣٧٣هـ في مدينة الطائف ، ثم نقل جثمانه إلى مدينة الرياض ، ودفن بمقبرة العود ، أما الملك سعود - يرحمه الله - فقد توفي باليونان عام ١٣٨٨هـ ، أما مولاي الملك فيصل بن عبد العزيز فقد توفي في شهر ربيع الأول عام ١٣٩٥هـ بالرياض ، والملك خالد - طيب الله ثراه - فقد توفي عام ١٤٠٢هـ في مدينة الطائف .

هذا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(هذه)[٤٨] مذكرة للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن (ابن إلياس) .

بـ في الجبهات الشرقية وما تقوم به من التدريب للغزو حتى كان ~~الخروج~~ ،
السهمه في شهر رجب عام ١٣٥٣هـ

وفي عام ١٣٥١هـ وصلت إلى الرياض وفي ذلك في شهر جمادى الأول من العام نفسه
تعينت بأمر مولاي الملك عبد العزيز طيب الله ثراه في عمل كتابي
في الشعبة السياسية مدا سكرتير في العمل إلى ١٧ ذي القعدة
عام ١٣٥٨هـ ثم صدر الأمر بموجب طلبي وبعد توصية جلالة
مولاي الملك عبد العزيز على وزير المالية آنذاك عبد الله
السليمان ثم مكثت في المكتب الخاص نائب المكتب الخاص
وإلى قسم اللوازمات التي كانت تحت رئاسة عبد الله السعد
ثم في شهر صفر يوم ٦ من عام ١٣٦١هـ طلبت الإعفاء
وتوجهت إلى أهلي × ×
وقد توفي جلالة مولاي الملك عبد العزيز طيب الله ثراه
عام ١٣٧٣هـ في مدينة الطائف ثم نقل جثمانه إلى مدينة الرياض
ودفن بمقبرة العود أما الملك سعود رحمه الله فقد توفي باليونان.
١٣٨٨هـ أما مولاي الملك فيصل بن عبد العزيز فقد توفي في شهر ربيع الأول
الأول عام ١٣٩٥هـ بالرياض والملك خالد طيب الله ثراه فقد توفي
عام ١٤٠٢هـ في مدينة الطائف "

هذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

هذا مذكرة للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن
بن السليمان.

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

الهوامش :

(١) زيادة يستقيم بها النص ، وكل ماورد - بَعْدَ - بين معقوفين ، فهو زيادة .

(٢) كذا في الأصل ، وهو يريد: العَضُد بمعنى المعين، فعبر بالعضيد، وهو في اللغة: ما قطع من الشجر، والنخلة التي لها جذع يتناول منه المتناول - انظر اللسان (عضد) .

(٣) كلمة لم نتبيّن صحة قراءتها، ويستقيم الكلام لو أنه قال: (وبعقب).

(٤) كذا في الأصل ، ويقصد بذلك عودة أو رجوع الجنود المذكورة .

(٥) في الأصل : كلاً من .

(٦) في الأصل : كاتب .

(٧) في الأصل : شهري .

(٨) وردت كلمة " الوضيحي " والأصح الضويحي ، وربما حدث هذا الخطأ من الكاتب الذي أملى عليه ابن إلياس .

(٩) في الأصل : كلاً من .

(١٠) راحمه بمعنى صاهره .

(١١) في الأصل جمادى الثانية .

(١٢) في الأصل جمادي الثانية.

(١٣) في الأصل : من ضمن من المحصورين - بزيادة (من) قبل المحصورين، ولعله سهو من الكاتب .

(١٤) في الأصل : على أن يكون يتوجه .

(١٥) في الأصل : ورد .

(١٦) غزوانهم : أي أفراد قوة القتال .

(١٧) في الأصل : جمادى الثانية .

(١٨) في الأصل : كلاً من .

(١٩) كذا في الأصل ، وربما قصد أنه لم يكن الا هو ومحمد الحجازى الذي كان مديراً للماليـــة فـــي أبها آنذاك .

(٢٠) في الأصل : وهذه

(٢١) في الأصل : على ماذكره يوم .....

(٢٢) الدرجة : اسم مكان وقعت به المعركة بين الشريف وقوات عسير ، ولم نتوصل حتى الآن إلى معرفة المكان الصحيح لهذه الموقعة ، ولكن من المحتمل أنه يقع في الأجزاء الشـــمالية مـــن حاضرة أبها .

(٢٣) قصير علكم ، أي موطن من مواطن بلاد علكم على مقربة من أبها ولازال يسمى بهذا الاســـم حتى الآن .

(٢٤) في الأصل : كلاً .

(٢٥) في الأصل : مرافق ، ومابين المعقوفين زيادة يستقيم بها المعنى .

(٢٦) حدث سهو من الكاتب ، فكرر العبارة بغير داعٍ لذلك ؛ ففي الأصل : وطلـــــب منـــه أن يقـــوم بأعمال الإمارة ، والتزم له محمد دليم ، وطلب منه أن يقوم بأعمال الإمارة، والتزم له محمد

(٢٧) في الأصل : تعهد

(٢٨) في الأصل : جمادى الثانية .

(٢٩) في الأصل : شيء .

(٣٠) الأصل : كلاً .

(٣١) في الأصل : يذهبون .

(٣٢) في الأصل : كلاً .

(٣٣) في الأصل : كلاً

(٣٤) في الأصل : غازي

(٣٥) أي التجهيزات اللازمة للقتال .

(٣٦) في الأصل : المطلوب .

(٣٧) في الأصل : ومن .

(٣٨) في الأصل : وكلاً .

(٣٩) في الأصل : الوفدين .

(٤٠) في الأصل : وصل .

(٤١) في الأصل من .

(٤٢) في الأصل : مريض .

(٤٣) في الأصل : استمرينا .

(٤٤) الحماد : موقع يقع بين نجران وظهران الجنوب .

(٤٥) في الأصل : الثلاثة .

(٤٦) في الأصل : استمريت .

(٤٧) اللوازمات : قسم مالي كبير في وزارة المالية يعمل على إدارة الصرف في الوزارة آنذاك .

(٤٨) في الأصل : هذا .

الملاحق

ملحق رقم (١)

رسالتان من الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى عبد الله بن عبد الرحمن (ابن الياس)، يشكره في الأولى على تفانيه في العمل وعلى تهنئته بالعيد (مؤرخة في ١٣٤٥/١١/٢٢هـ)، والثانية رسالة ودية منه ردا على خطاب ورد الى جلالته من ابن الياس (مؤرخة في ١٣٤٦/٢/٤هـ).

عدد ٦٥١ — ٢٧ ذي القعدة ١٣٤٥ — بسم الله الرحمن الرحيم

ملحاق خير وسرور ان شاء الله

ثم ما ذكرتم بكتابكم المؤرخ الجاري كان عندنا معلوم، خصوصاً ما ذكرتم عن اجتهادكم بحفظ بيت المال وواراداته وكذالك التدقيق على المصاريف بارك الله فيكم على اجتهادكم وان شاء الله تواصلون بذل الهمة والاجتهاد في ذالك وعن سكون الاحوال الحمد لله رب العالمين على ذالك وعن تهنئتكم لنا بعيد الفطر السعيد. واعلان مملكة نجد نسئل الله ان يقدر ما فيه الخير وحسن المواهب

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها

عدد ٢٠٦

في ٤ صفر سنة ١٣٤٦

من عبد العزيز ابن عبد الرحمن آل فيصل الى جناب المكرم الاكرم عبد الله بن عبد الرحمن الياس سلمه الله، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم كتابكم المؤرخة ١٢-١٥ محرم ١٣٤٦ وصلت وما ذكرتم بها كان عندنا معلوم اخبار طرفكم امستم الافادة وعن اخبار طرفنا فهي من فضل الله ساكنه ولم جد ما يجب الافادة الا الخير والعافية اوزع الله الجميع شكر نعمه هذا ما لزم بيانه والله يحفظكم والسلام

ملحــق رقـم (٢)

رسالتان من عبد الوهاب محمد أبو طحة الى عبد الله بن عبد الرحمن الياس لتنسيق التعاون بينهما لتوفير السلاح والغلال مؤرختان في شهر ذى الحجة عام ١٣٥٢هـ

من عبد الوهاب محمد ابو طحه   الى جناب الولد المكرم الأفخم عبد الله بن عبد الرحمن الياس   حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام خطكم المكرم وصل وما شرحتم صار لدى محبكم معلوم نحو من السلاح

ما كان لديكم من الصالح بالأول وغيرها ارسلوها لنا بوجه السرعة ان شاء الله هذا ما لزم والبارى يحفظكم

ودمتم ابو طحه [illegible]

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الوهاب بن محمد ابو طحه الى الأجل الأكرم عبد الله الياس المحترم

بعد التحية كتبنا لكم خطوط في تاريخ ٤٩ وتأخرت الرسالات بالخطوط والآن حالا

وسريعاً اجمعوا الف فرق ذرة وشعير بسعرها بحد السرعة وكلفوا

في حضورها سريعاً في [illegible] ودراهمها من ثمن الجنبية التي عندكم وإن

تجعلوا مسئولين في تعطيل المسلمين عن نصابهم لأنه جاورونا ارزاق [illegible]

الا شيء ما ينظر ان الله سريعة احرصوا في ذلك ودمتم

في ٢ ذي [illegible] ١٣٥٢

ملحـــق رقـــم (٢)

رسالتان نرى فيهما ولي العهد الأمير سعود بن عبد العزيز يكلف عبدالله بن الياس بـ (تزهيب) الجنود وما يتصل بذلك من تجهيز المؤن ،والرسالتان مؤرختان في عام ١٣٥٢هـ:

الله العليم

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاكرم عبد الله بن الياس سلمه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ذلك واصلكم حمد الطبيني بسيارات يحملون ارزاق

وصخان ونفصل شيلها عندكم ولا تأخذون ما تشيل منها كذلك حنا حولنا

عليكم الاخوان تزهبها لهم تجهزونهم برجالا وساعدوا السديري في جلب العارين والباقين

الذي يشيل زهابهم [illegible] الانسان الذي ما ينفع فيها الموقف ما الناس نفعته تعديه

حاجم وانت ان شاء الله فيك البركة والبدا وهذا ما لزم تعرفه والسلام ٢٥

لذلك واصلكم علي بن رحيان مع السيارات والطبيني [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان ولي العهد

المملكة العربية السعودية

الأمير سعود

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب الاخ المكرم عبد الله بن

الياس سلمه الله السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام بعد ذلك من

طرف بن ربيعان وقومه الرقه حولناهم عليكم في زهابهم الرز والقهوه

فقط فانتم ان شاء الله تحصلون على نجائزهم وتشيلونه لهم مع جماميل و

احصوا على جميع التشيلات ونجائزها وخاطرنا السديري بذلك

وحصناه ولا بعد لكم حسوفه ان شاء الله هذا ما لزم تعريفه و

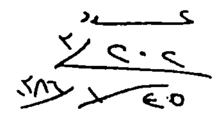
السلام

٢٩ ذي

من طرف القوم كلهم حولناه على زهابهم في الخبس احصوا على نجائزهم

ملحق رقم (٤)

رد أمير مقاطعة أبها على برقية وكيل وزارة الداخلية ، وفيه مجمل خدمات عبد الله بن عبد الرحمن ابن الياس للدولة تمهيدا للنظر في صدور معاش استثنائي له بتاريخ ١٣٨٦/١/٢٥هـ



سعادة وكيل وزارة الداخلية المحترم

بعد التحية والاحترام/

اشارة الى برقية سعادتكم رقم ٨١٦٩ في ٢٢/١١/٨٥ بطلب بيان بخدمات كاتب المجلس الاداري عبد الله بن عبد الرحمن بن الياس الذي بلغ السن القانوني في الخدمة الحكومية وطلبه الدعم لسعادتكم من طلبه استعفاء المذكور مرفقا به مستندات خدماته بيانا تاما وبه يتضح لسعادتكم ان المذكور في خدمة الدولة زهاء ستة واربعون عاما لعهد بدأها في عام ١٣٣٩ ولا زال يعمل حتى الان متدرجا في عدة وظائف هامة وحيث ان المذكور يطلب النظر في خدماته اذا نهاية بموجب نظام التقاعد ورواتبه حسبما له وظيفته وسيكون ريالا لاكتاري مع نسبة خدماته في الدولة اذ انه من ما صروا اول العهد السعودي الزاهر وعند مولى مدد تجهيز من الوظائف الهامة كما يتضح من المستندات المرفقة ويرجو المذكور عرض موضوعه على مجلس الوزراء للنظر له نظرة خاصة لانه يستحق العطف والتقدير من قبل المسئولين نظيرا ما قدمه من خدمات طائلة للدولة

ولسعادتكم اطيب تحياتي

امير مقاطعة ابها

صورة للملف

... كاتب المجلس الاداري عبد الله بن الياس للاحاطة

م/ع

ملحق رقم (٥)

مذكرة وزير الداخلية لجلالة الملك بالتوصية من أجل تخصيص راتب كامل للسيد / عبدالله بن الياس بعد خروجه الى المعاش . مؤرخة بتاريخ ١٣٨٦/٤/١٣هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية (مديرية شئون الموظفين)
امارة ....

رقم ٦٧٠٣
التاريخ ٨٦/٤/١٢
التوابع ....

حضرة صاحب الجلالة رئيس مجلس الوزراء المعظم

بعد التحية والاجلال ·

سبق ان رفع لنا امير ابها بخطابه رقم ١٠٩٠ فى ٥/١٠/٨٥ هـ بان الموظف بجهاز الامارة بالمرتبة الثامنة عبد الله بن الياس سيبلغ سن الستين فى نهاية عام ٨٥هـ ورجا مخابرة المقام السامى فى تمديد خدماته الى مابعد الخامسة والستين وتمهيدا لذلك عمدنا برفع صورة من بيان خدماته وصورة من حفيظة نفوسه فورد الرد بخطابه المدرج رقم ٢٠٢/٣ فى ٢٥/١/٨٦هـ واتضح لنا من حفيظة نفوسه انه من مواليد عام ١٣١٥هـ وانه قد تجاوز فى الخدمة المدة القانونية المنصوص عليها فى المادة ١٢٥ م من النظام وبينما كانت الوزارة تعد الاجراءات اللازمة فوجئت بقرار امارة ابها رقم ٥٧/٨٢/٥ / ٣ فى ١٣/٣/٨٦ ويقضى باحالته للتقاعد وقد اعتبر تاريخ الانفكاك من تاريخ صدور القرار ·

من هنا يتضح ان المذكور قد بقى على رأس العمل مدة عشر سنوات وثمانية اشهر واثنى عشر يوما بعد بلوغه السن النظامية باعتبار ان تاريخ ولادته فى ١/٧/١٣١٥هـ ·

ولايفوتنى بالمناسبة ان اضمن لهذا الرجل من خدمات جليلة لدى الدولة فلقد كان فى عهد المغفور له جلالة الملك الراحل يكلف من لدن جلالته بمهمات سرية وكان بمثابة نقطة اتصال بين بيت ال حميد الدين والبيت السعودى العامر كما يبدو لجلالتكم من صور الخطابات المرفقة الصادرة من المغفور له · وقد استرحم من جلالتكم العطف باعطائه راتبه الذى يتقاضاه حاليا والبالغ خمسمائه وخمسة وسبعين ريال تقديرا لسابق خدماته التى لاتقل عن ستة وثلاثين عاما وقد ذكر انه ذو عائلة كبيرة وليس لديه من المال ما يقابل به نفقتها لما تبقى من الحياة ارجو بعد الاطلاع التكرم بالامر الكريم نحو المدة الزائدة وبالتالى نحو طلبه تخصيص راتبه الذى يتقاضاه كاملا والامر لوليه والله يرعاكم

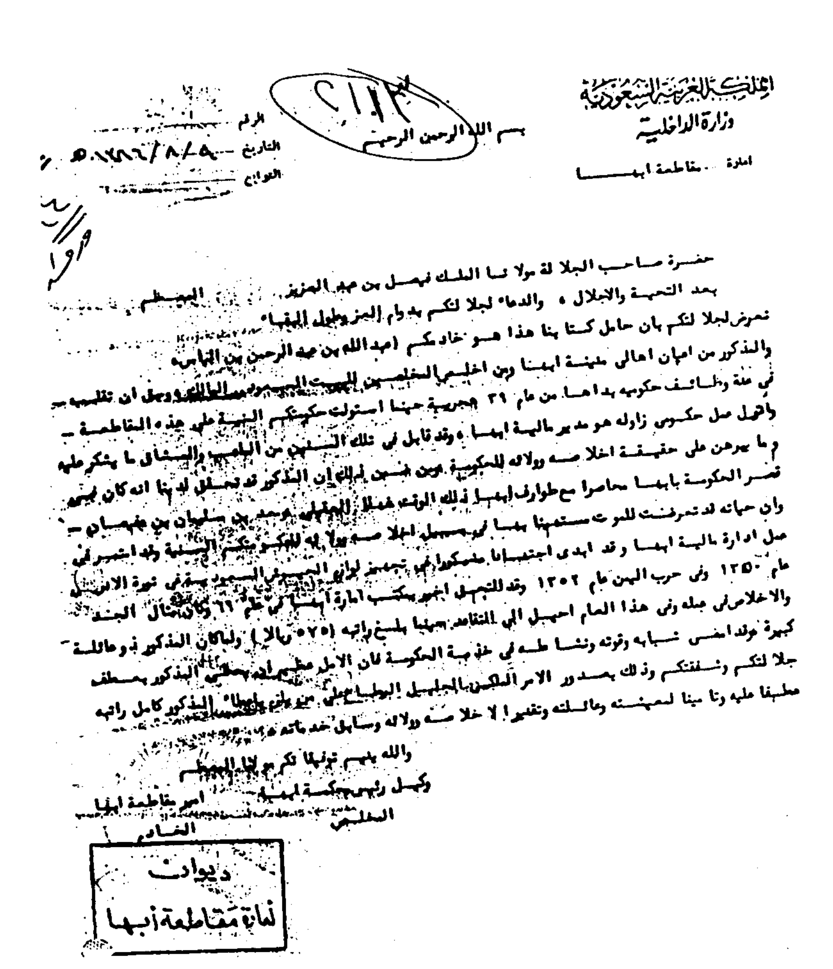
هـ/م

وزير الداخلية

صورة / لامارة ابها للاحاطة ·
---- / لمصلحة معاشات التقاعد
صورة / لارشيف الموظفين وتسلم واحده لمدققا بها
---- / لديوان الموظفين العام

ملحق رقم (٦)

خطاب توصية من أمير مقاطعة أبها الى الملك فيصل بن عبد العزيز عن مجمل الأعمال الجليلة التي أدها عبد الله بن عبد الرحمن بن الياس بتاريخ ١٣٨٦/٨/٩هـ



المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة مقاطعة ابهـــا

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم
التاريخ ١٣٨٦/٨/٩هـ
المرفقات

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك فيصل بن عبد العزيز [illegible] المعظم
بعد التحية والاجلال ، والدعاء لجلالتكم بدوام العز وطول البقاء
نعرض لجلالتكم بان حامل كتابنا هذا هو خادمكم عبد الله بن عبد الرحمن بن الياس
والمذكور من اعيان اهالي مدينة ابها ومن اخلص المخلصين للبيت السعودي المالك وعمل
في عدة وظائف حكومية بداها من عام ٣٩ هجرية حينما استولت حكومتكم السنية على هذه المقاطعة
واول عمل حكومي زاوله هو مدير مالية ابها ، وقد قابل في تلك السنين من المتاعب والمشاق ما يشكر عليه
وما يبرهن على حقيقة اخلاصه وولائه للحكومة ومن ضمن ذلك ان المذكور قد تحمل لدينا انه كان يمون
قصر الحكومة بابها محاصرا مع طوارف ابها ذلك الوقت [illegible]
وان حياته قد تعرضت للموت مستميتا [illegible] سليمان بن [illegible]
على ادارة مالية ابها وقد ابدى اجتهادا [illegible] واستمر في
عام ١٣٥٠ وفي حرب اليمن عام ١٣٥٢ وقد التحق اخيرا بمكتب امارة ابها في عام ٦٦ [illegible]
والاخلاص في عمله وفي هذا العام احيل الى التقاعد [illegible] براتبه (٥٢٥ ريالا) ولما كان المذكور ذو عائلة
كبيرة وقد امضى شبابه وقوته ونشاطه في خدمة الحكومة لان الامل [illegible] المذكور
جلالتكم [illegible] وذلك بصدور الامر الملكي الجليل [illegible] المذكور كامل راتبه
عطفا عليه [illegible] لمعيشته وعائلته وتقديرا لاخلاصه وولائه وسابق خدماته [illegible]

والله يحفظكم [illegible] المعظم
وكيل رئيس محكمة ابها [illegible]
امير مقاطعة ابها
المخلص
الخادم

ديوان
نيابة مقاطعة ابها



قضية ورأي

المبارزة بين التلفزيون والكتاب

هل يمكن تلافيها ؟

(محاولة لفهم كل من الوسيلتين من أجل التغلب على سلبياتها والإفادة من إيجابياتها)

أ.د. حمود بن عبدالعزيز البدر

مقدمة :

يدور جدل مثير حول تعريف الأمية خاصة بعد أن أصبحت وسائل الإعـــلام المسموعة والمرئية تثري حصيلة المتلقين، حتى وإن لم يعرفوا القراءة والكتابة، كما يدور الجدل حول مستوى الحصيلة العلمية لطلاب المدارس وخصوصا الصغار منهم بدعوى أن مناهج الدراسة ليست بالحيوية الكافيـــة لمواجهـــة الاحتياجـــات النفسية والفكرية للشباب. ويصل الادّعاء إلى وصف هذه المناهج بالجمود والعجز عن الحركة أو على الأقـــل، عدم مواكبة الثـــورة المعرفيـــة وثـــورة الاتصـــال . وبخاصة الوسائل المسموعة المرئية كالتلفزيون (وما يشـــبهه أو مـــا يســـاعده) ويورد كل ما يؤيد ادّعاءه .

وقد كثرت الدراسات التي تتناول هذا الموضوع في محاولات لإيجاد صيغ مقبولة للخروج من المأزق، وحتى الأمية الأبجدية التي تكالبت على محوهـــا دول العالم، نالها نصيبها من هجمة التلفزيون لدرجة أن نسبتها في الدول الصناعيـــة ترتفع كلما اتسعت رقعة المشاهدة ؛ ففي بريطانيا مثلاً ارتفع عدد الأمييـــن مـــن ٥ر٥ مليون منذ ١٥ عاماً إلى ٩ مليون هذا العام (بول كوجل ١٩٩٤ : ١٢) .

وهذه ورقة عمل نحاول فيها أن نجد مخرجاً لطلابنا من ورطة المواءمـــة بين جاذبية وسائل الإعلام وجمود وسائل التربية ، أو لنقل جاذبية وسائل الإعلام ، وعدم جاذبية وسائل التربية .

وبما أن التلفزيون – على وجه الخصوص – دخل منافساً للكتاب وصـــاداً عنه. فإن الأمر يتطلب منا إيجاد وسيلة لتطوير أسلوب كتابة وإخـــراج الكتـــاب ، بحيث يكون صنواً للتلفزيون ، أو – على أقل تقدير – لكي يُعتمد وســيلةَ تعليـــم ونقل للمعرفة ولو لبعض الوقت المخصص للدراسة .

في محاولة لتحديد المشكلة :

في محاولة لتحديد المشكلة ، يحسن بنا أن نستعرض بعضاً من الدراسات التي تناولت مدى تأثير التلفزيون وجاذبيته على النشء، وما قد يستتبع ذلك مـــن انصرافهم عن القراءة .

وفي دراسة قام بها (السيف وآخرون ١٤١٢هـــ : ١٨٤) على عينة من طلاب المدارس الثانوية والمتوسطة وجمهور الموظفين في المملكة ، كانت النتائج أن :

٦ر٦٪ من العيِّنة قرأت الرسائل محل الدراسة في الصحف .

و ٤ر٤٪ من العيِّنة سمعت الرسائل المذاعة بالراديو .

و٦٣٪ من العيِّنة رأت الوسائل المتلفزة .

فلو استخلصنا من هــذه الدراســة القدرة الهائــلة للتلفزيــون على جذب المشاهدين، وسحبهم عن وسائل الاتصال الأخرى، فإن ذلك يقودنــا إلــى الخطــر الناتج عن تأثير التلفزيون على عادةالقراءة لدى الشباب .

ففي دراسة قام بها (الفضلي ١٤١٢هـ : ١٧) أشارت إلى أن الطــلاب في كاليفورنيا يفضلون بنسبة ٦٩٪ مشاهدة التلفزيون على قراءة الكتــب . كمــا أشارت الدراسة إلى أن هناك علاقة سلبية بين مشاهدة التلفزيــون ، والتحصيــل الأكاديمي عن طريق القراءة ، أثبتتها دراسة قام بها روبي جونسون وآخــرون ، الذين أثبتوا أن تَدَخُّل أولياء الأمور في توجيه وترشيد ساعات المشاهدة أدى إلى تَحَسُّنٍ واضحٍ في حصيلة أبنائهم في القراءة والرياضيات .

كما أكدت دراسة قام بها (قادبيري ١٩٨٠ :٤٥ - ٥٧) أن تدخل أولياء الأمور في تحديد ساعات المشاهدة أدى إلى زيادة ساعات القراءة . أمــا وليــامز وزميله هارتل (وليامز ١٩٨٢ : ١٤ - ١٩) فقد أجريا دراسة على أطفــال لــم يتعرضوا لمشاهدة التلفزيون من قبل ، بقياس عاداتهم القرائيـــة ، ثــم إعــادة القيــاس بعد التعود على المشاهدة ، فوجدا تناقصاً متتابعاً فــي القــراءة نتيجــة الاتجاه نحو المشاهدة .

وفي دراسة قام بها فريق من جامعة بنسلفانيا (نيويورك تــايمز ١٩٩١) كانت الخلاصة أن مشاهدة التلفزيون تُعَطِّل ملكة القراءة عند الأطفال، كما تُعطــل

ملكة التفكير ، حيث تصرفهم إلى حلول جاهزة تقدمها برامج التلفزيـــون. وهكـــذا نجد أن مشـــاهدة التلفزيون تقلل من الوقت المصروف على القراءة . أيّـــد ذلـــك دراسة قام بها (أندرسون وزميله ١٩٨٨) على عيّنة من الأطفال في مدينة بولاية أيوا الأمريكية لم يشاهدوا التلفزيون من قبل . وعندما عرضوا لمشاهدة التلفزيون اتضح أن ذلك حل محل نشاطات أخرى مثل القراءة واللعب .

ويؤيد ذلك ما توصل إليه العتيبي الـــذي درس عـــادات طـــلاب المرحلـــة الابتدائية في القراءة والمذاكرة (في قرية فيد ، بمنطقة حائل التعليمية) إذ وجـــد أن مشاهدة التلفزيون أفادت في الحصيلة اللغوية لكنها أضـــرت فـــي التحصيـــل الدراسي. (العتيبي ١٤١٤ : ١٢٥) .

وأشار (الفضلي ١٤١٢هـــ : ١٤) إلى أن وزير الثقافة الفرنسي حـــذّر من تدني مستوى القراءة لدى الفرنسيين موضحاً أن (١/٤) الفرنسيين لـــم يقـــرأ أحدهم ولم يقتنِ كتاباً واحداً ، وذلك بسبب الإدمان على مشاهدة التلفزيون .

ومن جانب آخر فإن الاعتدال في المشاهدة قد يكون مفيداً ، حيث أشـــارت (نيومان ١٩٨٨ : ٤١٥) في دراسة أجرتها على ست ولايات أمريكية ، إلـــى أن هناك علاقة إيجابية بين المشاهدة والقراءة إذا كانت فترة المشاهدة فـــي حـــدود ساعتين يوميا . وقد عزز ذلك دراسة العتيبي المشار إليها أعلاه خاصة إذا ما نظم وقت الطالب بين المشاهدة والقراءة (العتيبي : ١٢٨) .

وعززت ذلك دراسة قام بها (راينلنج وهوى ١٩٩٢ : ٣٠ – ٤٣) حيث أشـــارا إلى أن الاعتدال في المشـــاهدة يقلل الآثار السلبية على القراءة ، بل إنه يزيد في الحصيلة اللغوية .

وتوصلت أبحاث أخرى أجراها كل من فينش وأوبنهايم (الخيـــاط ١٤١٠ :

١٦) إلى أن مشاهدة التلفزيون ليست بالسلبية المطلقة ولا بالإيجابية المطلقـــة . وتشير دراسة أخرى اقتبستها عالية الخياط (الخياط ١٤١٠هـ : ١٧) إلى أنه " أصبح من المسلمات التي بات دورها يتضح تدريجياً أن مشاهدة التلفزيون تســهم في زيادة التعلم، حيث يتم هذا من خلال عمليـــات عفويـــة وليســت مقصــودة ، وبالنسبة للأطفال فإن التلفزيون يشكل لهم المصدر الرئيسي للتطبع الاجتمـــاعي . وأشارت دراسة لتأثير برنامج شارع السمسم الأمريكي إلى ما ملخصه :

(١) أن الذين يشاهدون البرنامج أكثر ، يتعلمون بدرجة أكبر .

(٢) يتعلم الأطفال ، بشكل أسرع ، تلك المهارات التي يعطيها البرنامج اهتمامـــاً كبيراً .

(٣) أدت جاذبية البرامج إلى عدم الحاجة إلى إشراف على الأطفال ، حيث يتـــم استيعابهم دون ذلك ، مقارنة بالأساليب التعليمية التقليدية .

كما أشارت دراسة أجريت على البرنامج العربي ، افتح يا سمســم (الخياط ١٤١٠هـ : ١٨) إلى أن :

(١) البرنامج يمتلك تأثيراً واضحاً على هؤلاء الأطفال .

(٢) أن الدمى المستخدمة كانت أقرب إلى ميول الأطفال من الممثلين الآدميين.

(٣) أن الشخصيات التي تدور حولها ، أو من خلالها أحداث البرنـــامج ، كـــانت محببة إلى الأطفال بشكل عام .

(٤) أن الأطفال يميلون إلى تطبيق ما يرونه في البرنامج في سلوكهم اليومي .

(٥) أن أصوات الأطفال كانت أقرب إلى المشاهدين الصغار من أصوات الكبار .

(٦) أن اللغة الفصحى المستخدمة أمكن هضمها من قبل المشاهدين الصغار دون صعوبة .

(٧) أن البرنامج (وهو تعليمي في الأصل) ينظر إليه الأطفال بوصفه برنـــامج تسلية، ومن ثم يحرصون على متابعته ، فيجمعون بين التسلية والتعليم .

وفي السعودية أجرى (حسان ، ١٤١٣هـ :٢٢) دراسة على ٤٨ طفـــلاً وطفلة تتراوح أعمارهم بين ٧ - ١٦ وكانت استنتاجاته : أن تأثير التلفزيون على الأطفال غير محدود ، وخاصةً برامج الرســوم المتحركـــة (الكرتــون) . حيــث توصلت الدراسة إلى أن الطفل ينساق إلى التلفزيون فيصرفه عن القراءة وغيرها من العادات المفيدة . وبالتحديد فقد كانت الإجابات كالتالي :

٥٠٪ منهم يَوَدّون أن يشاهدوا التلفزيون كل الوقت وكل البرامج .

و١٠٠٪ أجابوا أن الرسوم المتحركة تستهويهم .

و٦٣٪ أجابوا أن البرامج الأجنبية للأطفال تستهويهم .

و٢١٪ أجابوا أن البرامج العربية للأطفال تستهويهم .

و٢٥٪ أجابوا أن البرامج المحلية تستهويهم .

آثار أخرى للتلفزيون :

كما أن للتلفزيون آثاراً سلبية على عادة القراءة ، إذا أطلق للشباب العنان في المشاهدة ليرى ما يريد وقتما يريد ، فإن له أيضاً آثاراً أخرى ، منها ما هـــو إيجابي ، ومنها ما هو سلبي ، تحسن الإشارة إليها قبل التوصيـــة بشـــيء حـــول عادات المشاهدة .

فالآثار الإيجابية للمشاهدة هي :

١ - زيادة المحصول اللغوي للأطفال. ففي دراسات تمت فـــي انجلــترا وكنـــدا والولايات المتحدة (الخياط ، ١٤١٠هــ : ٢٥ - ٣١) تبيـــن أن الأطفـــال الذين يشاهدون التلفزيون قبل الالتحاق بالمدرســـة يبدءون بمحصول لغوي يزيد على محصول من لم يشـــاهد من قبل، وأيّد ذلك نتائج اختبارات أجريت على مشاهدي شارع السمسم .

٢ - تساعد مشاهدة التلفزيون - إذا ما استخدمت الحكمة في صياغة برامجه - على إكساب الآباء والأمهات ، والعاقلين من الإخوان والأخوات ، اتجاهـــات جيدة تساعد في تهيئة الطفل ، وتربيته تربية مناسبة .

٣ - تحقق المشاهدة للطفل قدراً من الترفيه الذي يحتاجه لنمو شخصيته ، مما يقلل من إحساسه بالملل والضيق .

٤ - تفسر المشاهدة للطفل بعضاً من الغموض الذي يصادفه في حياته، حيـــث تقوم البرامج الجدية بإمداده بالمعلومات والمعارف والمهارات التي تساعده في تخطي الصعاب، وتذلل له صعوبات الدراسة .

٥ - يُنظر إلى المشاهدة على أساس أنها وسيلة لـــم شـــمل للأســـرة، وتقريـــب وجهات نظرها حول أمور شاهدوها معاً.

٦ - تقرب المشاهدة بين الخلفيات العلمية والاجتماعية لأبناء المناطق المختلفة، وتضيق الفجوة بين الشعوب .

٧ - تقلل البرامج القيّمة من الحرص على السفر خارج الوطن للسياحة .

أما الآثار السلبية للمشاهدة فمنها :

١ - الإغراق في الترفيه مما يصرف الشباب عن التحصيل الجدي ، وذلك يقود إلى :

أ - تعطيل قدرات الشباب العقلية واللغوية ، وتعطيل ملكات الإبداع لديهم.

ب - تقمص الشباب لقيم قد لا تكون موزونـــة ، أو تكـــون غريبـــة عـــن مجتمعهم.

جـ - تأثير الإعلانات التجارية التي تؤدي إلى تبني أنماطٍ استهلاكيةٍ غير ضرورية تدفعها وتبررها مصالح المعلن، وهي ليست بـــالضرورة أخلاقيـــة الدوافع.

د - تؤدي كثرة المشاهدة إلى انتشار الأمية الأبجدية ونموها .

هـ - هناك آثار تحدثها الأفلام والمسلسلات التي تعتمد علـــى الجاذبيـــة كأساس، مُضحية بالقيم والأخلاق الاجتماعية .

٢ - الحب والجنس عنصران أساسيان في كثير من برامج الترفيه، التي تبـــدو في ظاهرها لائقة ، لكنها تطلق خيال الطفل لما وراءها .

٣ - أصبح العنف والعدوان عنصرين سائدين في كثير مـــن الـــبرامج الوافـــدة عربياً وأجنبياً، حتى وإن كانت تبدو غير متعاطفة في نهاياتها مع

٤ - يرى بعض الباحثين أن كثرة المشاهدة ، وعدم المعرفة بأبعادها من حيـــث المسافة، تؤثر على عيون الطفل كما تؤثر على أعصابه .

٥ - تؤثر المشاهدة الزائدة على عادة القراءة لدى الأطفال ، خاصـــة فيمـــا زاد عن ساعتين يومياً ، كما أشارت إلى ذلك بعـــض الدراســـات التـــي جـــرى استعراضها.

٦ - تؤثر المشاهدة المبالغ فيها على عادات الاستذكار لدى التلاميذ خاصـــة إذا لم تتهيأ لهم قيادات ترشد مشاهدتهم .

وبعد ، فإن الأطفال والشباب ليسوا من العينات التي يمكن أن ينظر إليهـــا على أساس أنها تنتقي ما تراه مناسباً للمشاهدة . وإن اختلفت الآراء حول التأثير كما رأينا.

وسواء كان هناك الإدراك الانتقائي الذي يقول به من ينفي الآثار الســلبية للبرامج التلفزيونية ، أم لم يكن فإن الشباب يحتاج إلى قيادات واعيــة تســاعدهم على أن يميزوا ما بين الصالح مطلقاً ، وما بين ما هو صالح في بيئة ما ، وغــير صالح في بيئة أخرى .

كما أن ترشيد المشاهدة أساس لكي لا تزدحم ذاكرة الشاب بمناظر ومشاهد يستعصي عليه الانتقاء منها ، عندما يربط الأحداث بما لديه من خلفيات كوّنتهـــا المشاهدة ، بتلك التي تدعو إليها مدرسته أو مؤسسات مجتمعه .

وهناك مصداقية الوسيلة . فالمصداقية تحدد درجة التأثير الذي ينتج عــن مشاهدة برامج تلك الوسيلة . لكن المصداقية قد لا تكون واضحة لــدى الأطفــال والشباب ، إذ يصدقون ما لا يصح تصديقــه . ويتصورون مواقف مبالغاً فيهـــا ، وأحيانا متناقضة ، صادقة . ظناً منهم أنها كذلك بسبب جاذبية عرضها .

هذه المواقف المتناقضة قد تؤدي إلى تناقض اجتماعي ، يوقع الشباب في حيرة أمام ما يتلقونه في مدارسهم ، التي تعتمد أساساً على الكتاب المرغوب عنه، وما يصلهم من خلال برامج وافدة (أو محلية غير موزونة) مرغوب فيها.

تحديد المشكلة :

مما سبق يتضح أن وسائل التعليم المعتمدة أساســاً علــى القــراءة فــي

معظمها (إن لم يكن كلها) لن تستطيع منافسة وسائل الإعلام المرئية . ولهذا لابد من تطويع وسيلة التلفزيون (ومشتقاته) لأداء وظيفة التعليم بدلاً من الكتاب ، أو استخدامها سنداً له .

ما هو الهدف من القراءة :

الهدف الأساس من القراءة هو نقل المعرفة ، والاستزادة مما هو مسطر في الكتب والصحائف التي تمثل خلاصة تجارب الآخرين ، فإذا كان الهدف من وسيلة التعليم هو نقل المعرفة إلى الطفل والشاب، فإن أية وسيلة تساعد على ذلك، بفعالية أكبر ، تصبح هي الوسيلة التي نسعى لتطويعها . ومن خلال ما سبق يظهر لنا أن التلفزيون ، إذا ما أحسن استغلاله ، سيكون أفضل وسيلة لنقل تلك المعرفة ، أو لتحقيق الغاية التي نسعى إليها .

تجارب سابقة في استخدام التلفزيون :

هناك العديد من التجارب السابقة التي أمكن بواسطتها تحقيق قدر أكبر من نقل المعرفة . فبالإضافة إلى تجارب اليونسكو في كل من المكسيك وتايلند والهند باستخدام التلفزيون أداة لمحو الأمية ونشر الثقافة ، فإن دولاً عديدة استعانت بالقنوات التعليمية لتحقيق مقاصد التربية والتعليم والتدريب .

١ - ففي أوربا توجد قناة تعليمية (Chanel E) تبث من خلال الأقمار الصناعية شارك في إنشائها المعهد الأوروبي للاتصال ، والجمعية الأوربية للأقمار الصناعية "استرا" والمؤسسة الدولية لتعليم الأعمال المالية والبنوك . وإحدى الجامعات الهولندية .

وتتمركز برامج هذه القناة حول محاور أربعة :

الأول : تشغيل الشباب .

الثاني : التعليم والتدريب المتقدم

الثالث : تعليم اللغات

الرابع : تأهيل العمالة المهاجرة

كما تهتم بتشكيل الهياكل من الجماعات المهتمة بتطوير التعليم والتدريـــب (لبيب ، ١٤١٠هـــ : ٢٦) .

٢ - جامعة التقنية الوطنية (NTU) .

وتقع في فورت كولينز بكلورادو ، وتمنح درجة الماجستير فـــي العلـــوم (Msc) في مختلف مجالات التقنية . أساتذتها يتوزعون في جامعات في تسع مـــن الولايات المتحدة الأمريكية. وطلابها متوزعون في مختلف مدن وقرى أمريكا. تُبَثّ عن طريق الأقمار الصناعية. وتستخدم الوحدات الطرفية للتفاعل مع طلابها، كمـــا تستخدم البريد الالكتروني .

وتقوم كل جامعة من الجامعات التي ترعى هذه الجامعة (المتلفزة) بإعداد ما يخصها من المقررات. كما أن المستفيد من الشركات والمؤسسات التي لديهـــا طلاب ينتسبون لتلك الجامعة، تقوم بإعداد أماكن لاستعادة هذه المقـــررات التـــي سبق إرسالها تلفزيونياً . وتمنح الدرجة بعد النجاح بثلاثين ساعة مقررة تُقـــاس درجة اجتيازها لا مركزيا (بولدوين ١٩٨٤ : ١٠٨) .

وهناك تجربة جديدة أطلق عليها دسك تـــوب نيـــوز Desk Top News تقدمها كل من شركـــة (أن بي سي) وشركة (آي بي إم) يقدم من خلالها برامج

وأخبار ومعلومات تحت الطلب ، يستطيع مستخدمو الحاسبات الشخصية استقبالها، للاطلاع عليها وقتما يريدون ، وطبقاً لما يريدون . (الجزيرة ١٤١٣هـ) .

وهذا الأسلوب يمكن أن يفيد في مجال التربية بحيث يشترك فيــه الأفــراد والمدارس والجهات التعليمية المختلفة .

محدودية التلفزيون :

١ - كانت المآخذ على التلفزيون أن محدودية إرساله ضيقة محصــورة في نطاق دائري لا تتعداه إلا بوجود محطات تقوية . كما كانت العوائق الطبيعية ، من جبال ومبانٍ وغابات ، مشكلة تعوق الاستفادة من هذه الوسيلة علــى نطــاق أوسع .

لكن البث التلفزيوني عن طريق الأقمار الصناعية مكّن من التغلــب علــى محدودية الإرسال التلفزيوني التقليدي. بحيث يجري الإرسال إلى قمر مــن أقمــار الاتصــالات التي تسبح في الفضاء على أبعاد متباينة أغلبها على ارتفاع ٣٧ ألف كيلو متر حول خط الاستواء. والتي تتلقى الإشارات ، ثم تعيد بثها إلــى محطــات استقبال أرضية ، لا يحدها جبــل ولا مبنــى ؛ لا حــدود جغرافيــة ، ولا أنظمــة ســياسية.

وكانت محطات الاستقبال الأرضية في البداية مشــكلة بســبب تكاليفهــا الباهظة وتعقيداتها الفنية . إلا أن الأمر أمكن التغلب عليــه بتطويرهــا ، بحيــث أصبحت من حيث التقنية متيسرة لكثير من الفنيين المؤهلين تأهيلاً متوسطاً ، كما أن تكاليفها تدنت إلى أسعار في متناول الكثيرين .

ومن حيث الحجم أصبحت في أحجام قابلــة للنقــل والتــداول والتصنيــع

المحلي، في بعض البلدان . بل إن أطباقاً متنقلة أمكن تصنيعها بحيث تطــوى ، و تُنْشَر ، عند الحاجة إلى ذلك بسهولة متناهية . كما أمكن إيجاد ما يسمى بـــالطبق الخفي ، وهو عبارة عن مادة مرنة يمكن احتواؤها كجزء من المظهــر الخـــارجي للمنزل ، فلا تثير فضولاً ، ولا تسبب حساسية لمن يهمه أن لا يراه أحد. أمـــا إذا كان القمر الصناعي يرسل إرسالاً محلياً فيمكن أن يكون أقرب إلـــى الأرض لكــي يكـــون استقباله أوضـــح وأيسر. خاصة إذا كان لن يستخدم في الإرسال طوال ال ٢٤ ساعة . ففي هذه الحالة يمكن استقبال ما يرسل من خلال هوائيات صغـــيرة . إذ كلما قل ارتفاع القمر ، نقص حجم الطبق اللازم لاستقبال إرساله ؛ ففي الـــدول الأوروبية يستقبلون برامج "أسترا" من خلال هوائيات قطرها ٦٠سم .

٢ - ومأخذ آخر هو أن حجم آلة الاستقبال التلفزيوني (جهاز التلفزيون نفسه) كبير يصعب نقله إلى كل مكان . كما يحتاج المشاهد إلى الانقطاع له عـــن غيره. إلا أن مشروعات تحققت أسهمت في التغلب على هذه المشكلة . ومن ذلك :

أ - أنتجت شركة هولندية جهازاً للتلفزيـــون، يمكن استخدامه في السيارة والمنزل، صغيرالحجم . مزوداً بذاكرة تمكنه من تخزين الـــبرامج المـــراد مشاهدتها مسبقاً . إذ يمكنه تخزين ٦٩ قناة (تلفزيون الخليـــج ، ١٤١٢هــــ : ١١) تُسمع وتشاهد عند الحاجة . بل ذهبوا أبعد من ذلك حيث أنتجوا جهازاً يعلق أمام السائق بجوار المرآة .

ب ـــ تمكن المخترع البريطاني ويلي جونسون من اختراع جهاز للمشاهدة الفردية سماه (جوقل فوكس) لا يزيد وزنه عن ٤٥٠ جرام ، يمكن مشاهدته على بعد ٧ سم . وهو بهذا يشبه المسجل المشهور " واكمان " المنتشر بين الشباب في أصقاع الدنيا . (الشرق الأوسط ، ١٤١٣هـــ) ومن المتوقع أن يكون قد طـــرح للبيع في منتصف عام ١٩٩٤م .

٣ ــ بقيت محدودية أخرى ؛ وهي أن تكاليف إنتاج البرامج التلفزيونية ، لا زالت باهظة مقارنة بتكلفة إنتاج الكتاب أو المجلة .

ويبدو أن المسألة نسبية فيما يتعلق بالتكلفة، حيث إن الكتب المدرسية إذا نظرنا إليها بمنظار الإنتاج الفردي سنجدها باهظة التكاليف ، لكن لو نظرنا إليهـــا بمنظار الدولة أو مجموعـــة الدول فلن تقل تكلفة تجهيزهـــا (تأليفـــاً وطبعـــاً ، وتوزيعاً) عن تكلفة ما يماثلها من محتوى برنامج تلفزيوني لذات المحتوى ، مع الوضع في الاعتبار الفارق في درجة التأثير الذي سبق أن رأيناه . كما أن تـــأثير البرنامج الذي يجري إنتاجه تلفزيونياً سيكون بقدرٍ مساوٍ (إلى حـــد مـــا) بيـــن المشاهد هنا وهناك، إذا اتّحَدَت الثقافة ، وتقاربت اللغة إلى جانب الجاذبية التـــي يتمتع بها التلفزيون .

وإذا ما نظرنا إلى شريط الفيديو فإنه سيكون بديلاً مناسباً للكتاب. فـــالعين هي التي تشاهد التلفزيون، وهي التي تقرأ الكتاب. والسمع لا يحتاجه القارئ لكنه لا يستطيع استخدامه مع القراءة ، إلا إذا تأثر مقدار الاستيعاب . وذلك ما لا يحدث مع المشاهدة التلفزيونية التي تقوم أساساً على الصوت والصورة معـــاً ، ولهـــذا تتكاتف الحاستان لزيادة التأثير ، إذا توفر قدر كاف من الجاذبية .

فإذا كانت الدراسات التي أشير إليها أعلاه (خاصة في البرامج التي أُعدت للأطفال والشباب مثل شـــارع السمســـم "Seseme Street" الأمريكـــي الشـــهير ، وبرنامج (افتح يا سمسم) العربي المهجن ، قد أوصلتنا إلى أن تأثيرها ، في تعلّم القراءة ومفردات اللغة بطريقة اختيارية ، كانت مشجعة .

وإذا كانت الإعلانات التي بدأت تنتشر في تلفزيونات الدول العربية ، ودول الخليج خاصة ، أثمرت تغييراً واضحاً في سلوك الأطفال والشباب حيال موضـــوع

هذا الإعلان أو ذاك ، فإن المرء ليســـتنتج أن الـــبرامج التعليميـــة ، إذا أحســـن إخراجها ، ستكون فعّالة بقدر كبير يجعلنا نغلبه على حصيلة القراءة من الكتـــاب بشكله الحالي .

تطويع التلفزيون بديلاً للكتاب :

حيث اتضح لنا من خلال استعراض الدراسات السابقة الميل الجارف مـــن قبل الشباب نحو مشاهدة التلفزيون ، وإذا كان الهدف هو إيصال المعلومـــة إلـــى ذهن الشاب أو الطفل بشكل جذاب ، فإن الأمر يســـتدعي أن ننظـــر إلـــى تحويـــل التلفزيون من أداة إخبارية ترفيهية ، إلى أداة تعليم بحيث تحـــل تدريجيـــاً محـــل الكتاب ، أو تكون سنداً مساوياً له .

وبدلاً من إصدار كتب مطبوعة بشكل جامد لا يثير فضول الطفل أو الشاب، وأحياناً يصرفه جمودها عن القراءة ، فإننا نستطيع أن نصدر لوحات تلفزيونيـــة تحتوي على قاعدة لغوية ، أو معادلة علمية . أو وصفاً لِتَصَرُّفٍ نسعى إلى غرسه لدى الشباب، ثم يتلو ذلك مشاهد تمثيلية تشرح وتعزز ما قدمته تلك اللوحة .

وسوف يكون عدد محدود من المؤثرين كافياً لإنتاج برامج تبث من خـــلال قناة فضائية لا يحدها جبل ، ولا يمنعها كثبان رمل ، ولا تقيدها مسافة ، توصـــل بكل المدارس ، ويمكن استقبالها بالمنازل أيضاً ، خاصة إذا ما استخدمت تقنيـــة الإرسال والاستقبال الفضائي المباشـــر DBS ، أو إذا مـــا اســـتخدمت الوصـــلات المنزلية من الألياف البصرية التي أصبحت بديلاً متفوقاً للأسلاك النحاسية (الكيبل التقليدي) .

وفي كل مدرسة يمكن أن يكون هناك صالة ، أو أكثر ، توجد فيها شاشــة استقبال مكبرة حيث يكون البرنامج مجدياً من حيث التكلفة ، إذ إنها توزع علــى عدد كبير من المدارس . وسيكون مجدياً أكاديمياً ، إذا كان إنتاجه معتمــداً علــى عناصر بارعة في مادتها ، وكان البرنامج جذاباً في إخراجه .

ويمكن تدريب معلم ، أو أكثر ، يتولى المساعدة خــلال البــث المحلــي ، للضبط والإجابة عن بعض الاستفسارات .

ويمكن أن يستعاض عن البث الهوائي (مؤقتاً أو إذا تعسر اســتخدامه) باستخدام أجهزة الفيديو التي يمكن أن يبث من خلالها برامج أعدت سلفاً بواسطة أساتذة مؤهلين في مادتهم . يعاونهم طاقم فني شبيه بطاقم " افتــح يــا سمســم " بالنسبة للصغار ، وأسلوب مناسب بالنسبة للأكبر سناً .

وقد أمكن التغلب على محدودية أشرطة الفيديو ، من حيث عدم اتســاعها لقدر كبير من المادة المسجلة ، بإنتاج أشرطة و (أجهزة) جديدة تقوم على أساس التقنية الرقمية التي تمكنها من التسجيل والعرض لمدة قدرها ٤٥ ساعة للشــريط الواحد ، مما يعني حيزاً أكبر للمادة المراد تسجيلها . كمــا أن محدوديــة عمــر الشريط الممغنط قد أمكن التغلب عليها عن طريق اكتشــاف الأقــراص الضوئيــة المدمجة التي تمكن من تخزين كمٍ هائل من المعلومات في حيز صغــير، وبكفــاءة عالية ولمدد طويلة . وسوف يكون التجديد في صناعة التلفزيون، الـــذي جــرى استعراض بعضٍ من تطوراته، مساعداً للشباب في الدراسة والمتابعة مــن خــلال تلفزة المعلومات مادامت هذه الوسيلة أكثر جاذبية من وسائل الاتصال الأخــرى ، وأكثر تأثيراً من الكتاب .

تلفزة صفحات الكتب :

لا شك أن الكتاب كان سيد المعرفة منذ القدم ، كما كـــان الحصـــان ســـيد وسائل المواصلات ، وكان الجمل سفينة الصحـــراء . ولكـــن الحصـــان نازعتـــه السيارات والقطارات والطائرات، وكذلك الجمل نازعته هذه الوسائل . ومن ثم لـــم يتشبث العالم بالحصان، ولم نتشبث نحن بالجمل ، عندما ثبت لنا أن فعالية غـــيره تفوقه .

وإذا كان الكتاب في إخراجه التقليدي لم يعد سيد الموقف كما كان من قبل، فلماذا لا نطور إخراج الكتاب لكي يتمشى مع الوضع الجديد ، أو نتخلى عنه إلـــى غيره . وتصوري أن صفحـــات الكتـــاب يمكن أن تكون خليطاً من نص وتمثيـــل ومشاهد لبعض المواقف التي تشرح النص ، بحيث يمكن بذلك التغلب على الملـــل الذي يلازم القراءة مقارنة بجاذبية مشاهدة التلفزيون والفيديو .

ولا شـــك أن وسائل أخرى كـــالوحدات الطرفيـــة لأنظمـــة المعلومـــات ، والحاسبات الشخصية ، ستقوم بدور كبير لمساعدة الكتاب في الخروج من ورطته التي بدا أنه سيتردى فيها نتيجة وجود وسائل أكثر جاذبية منه. ولعل الفنيين فـــي الإخراج يستطيعون أن يسهموا في تذليـــل الصعوبـــات التـــي بـــدأ التلفزيـــون ، وفصائله، يضعونها في طريق الكتاب .

ولكي لا أترك أحداً حائراً فيما أريد الوصول إليه تحديداً ، فـــإنني أضـــع تصوراً لحل المشكلة كما أراها ، يقوم على عدد من الخطوات . أذكر منها الآتي :

١ - تصميم برامج مستلة من الكتب الدراسية يجري تصويرها تلفزيونياً ، وفـــق معايير علمية تربوية، لتجريبها في عدد من المدارس، تمهيداً لتعميمهـــا إذا ظهرت جدواها .

٢ - تصميم برامج علاجية للمتخلفين دراسياً وذوي الإعاقات الذين يحتاجون إلى حلول مرئية تساعدهم على هضم المادة .

٣ - وللمبدعين دراسياً والموهوبين ، يمكن تصميم برامج تساعدهم على اختصار الزمن اللازم - عادة - لهذه المرحلة الدراسية أو تلك مع زيادة حصيلتهم مقارنة بالعاديين من زملائهم .

٤ - إيجاد وسائل تسويق فعّالة لجعل هذه البرامج في متناول يد من يرغبها بأسعار مناسبة ، من خلال تسجيلها على أشرطة أو أقراص ضوئية .

٥ - تشجيع المدارس الأهلية - المؤهلة تربوياً وماديا - على القيام بتجارب في هذا الميدان ، استفادة من مرونة الحركة التي تتيحها طبيعتها التشغيلية.

٦ - عقد ندوات تعريفية بتجارب الدول في هذا الميدان، لكي يطلع المتخصصون والمهتمون بالقضايا التربوية والتعليمية على ما أنجزه الآخرون ، للإفادة منه .

قائمة المراجع :

- آل حسان ، محسن الشيخ ، " التلفزيون وطفل المدرسة الابتدائية والمتوسطة"، تلفزيـون الخليـج، العدد ٤ ، السنة ١١ ، الرياض ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- الخياط، عالية محمد ، التلفزيون وتربية الطفل المسلم ، مطابع الوفاء ، المنصـورة ، ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .
- السيف ، خالد ، حمود البدر ، ساعد الحارثي ، تقييم برامج التوعيـة المروريـة، مدينـة الملـك عبدالعزيز للعلوم والتقنية ، الرياض ، ١٤١٢هـ .
- الشنتوت، خالد أحمد، " افتح يا سمسم والتحصيل "، استعراض رسالة ماجستير بمجلة كلية التربية - جامعة الإمارات ، العين ، العدد ٦٠ فبراير ١٩٨٨م.
- العتيبي، فهد بن عباس، " العلاقة بين مشاهدة التلفاز ومسـتوى التحصيـل الدراسـي لتلاميـذ المرحلة الابتدائية بقريـة فيد "، رسالة ماجسـتير، كلية التربية - جامعة الملك سعود ، الريـاض ١٤١٤هـ .
- الفضلي، راشد بن حمد ، " أثر مشاهدة التلفزيون على تنمية عادة القراءة عند طـلاب وطالبـات المرحلة الابتدائية "، بحث غير منشور ، كلية المعلمين ، الدمام ، ١٤١٣هـ .
- لبيب ، سعد ، العرب وأقمار البث التلفزيوني المباشر ، سلسلة بحوث ودراسات تلفزيونيـة ١٤ ، مركز تلفزيون الخليج ، الرياض ١٤١٠هـ /١٩٩٠م .
- " اسطوانات الصورة " ، مجلة الشرق الأوسط ، العدد ٤٣٤ ،١٠ أغسطس ١٩٩٤م ، ص ٣٣ .
- " أسطوانات الفيديو المدمجة تهيمن على سوق الأفلام المنزلية " ، جريدة الشرق الأوسط ، العـدد ٥٧٤ في ١٩٩٤/٨/٢٤م ، ص ٢١٠ .
- " أصغر تلفزيون للسيارة والمنزل "، تلفزيون الخليج ، العدد الأول، السنة ١١ ، ١٤١٢هـ .
- " بريطاني يخترع " ، جريدة الشرق الأوسط ، ١٤١٣/١٠/٣هـ ، (١٩٩٣/٣/٢٤م) الأخيرة .
- "الطبق الخفي" ، مجلة الشرق الأوسط ، العدد ٤٢٤ ، ١٩٩٤/٨/١٠م، ص ٣٣.
- " الفديو الرقمي، سباق ضد الساعة " ، تي في العدد ١ في ١٩٩٤/٨/١٥م ، ص ٣٨ .
- "خدمة تلفزيونية جديدة " ، الجزيرة ، العدد ٨٤٥٤ تاريخ ١٤١٣/٩/٣هـ الأخيرة .

Couggle . Paul : " THE DANGER OF LITRACY " THE SUNDAY TIMES , APRIL ١٠, ١٩٩٤, PP ١٢ - ١٤ .

GODBERRY , S. " EFFECTS OF RESTRICTING T.V VEWING " ,

Journal of Applied Development Psychology , ١٩٨٠ .

- BALDWIN, LIONEL ; " NATIONAL TECHNOLOGICAL UNIVERSITY , IEEE SPECTRUM , NOVMBER ١٩٨٤ .

NEOMAN, SUSAN; " ASSESSUNG THE RELATION BETWEEN TELEVISION VEWING AND READING PERFORMANCE, READING RESEARCH QUARTERLY , FALL ١٩٨٨ .

واحة الشعر





انتصار قلب

نايف رشدان العتيق

لها من الحُسْن ما لم تَرْوه السِّيَرُ ... وما أبانوه في التاريخ أو ستروا
لها الجمال وحيداً جاءَ يطلبها ... تمزقت حوله الأشكال والصور
كأنها جملةٌ للحُسْن قد كتبت ... من عهد آدمَ، فهي اليوم تُخْتَصَرُ
قصائد الحب فيها كيف أشعلها ... لا شيء في لغتي يوفي به الأثر
وكيف أنعم في ليل وفي سهر ... ولوعة الوجد لا تبقي ولا تذر
القافيات سهارى حول قامتها ... وإن تناهت خيالاً فهي تنتظر
ماذا أحدِّث عن ظل تُقَصِّفُهُ ... ريحٌ تمور وقلبٌ هدّه السفر
تُحيي الطيوف إذا مَرَّتْ لتخبرني ... عنها ، ويزهر في أحداقي الخبر
أنيسة الروح لو غابت بجُنْح دُجى ... تيبّس الليل وانهالت به الفكَر
ولوالها العذب في هُدْب به صدحتْ ... فلم يَخُنْهُ بها رمْشٌ ولا نظر
ما بالها اليوم في أسْر الوجوم ضحى ... ينازع الهمّ فيها السمع والبصر
تنوء بالحزن في حل وفي سفر ... وتكتم الشجو حتى كاد يعتذر
ما بال دمعكَ يا فتّان منهمراً ... الورد يذبل ان دكّ الجنى المطر
ما اهتزّ قدّك يا ميّاس من طرب ... فالغصنُ يرقص وهو الجائع الحذر
كأنما الحزن في عينيك أغنيةٌ ... موجوعة اللحن يبكي حولها الوتر
لا تُفْن ليلَك بالأشجان توقده ... ما فات بالأمس كيف يعيده السهر
ما الحزنُ أرحمُ من قلب تعيشُ به ... ما الغم أجملُ من قلبٍ سينتصر
الحب أعظم أقدار الإله لنا ... غداً سيزهر هذا الحبّ والقدر

" أسير حلم "

إبراهيم عبدالله مارش

بعيداً أن يكون الشوقُ فيها ... كما قلبي فليس لها انتباهُ
فعيناها قد اتجهت شروداً ... إلى الأفق البعيد لكي تراهُ
فمن لي من يخبرني يقيناً ... بما في قلبها ماذا دهاهُ
فإن لوجهها دوماً شروقاً ... أجل، ولحُسْنها سحرٌ وجاهُ
أراقبها عسى ستدير طرفاً ... إلي وعلها ستقول ذاهو
وأحسبها كبدر من بهاء ... ألاحظ نوره وأرى سناهُ
وأحسب شعرها ليلا طويلا ... ولم أعرف متى هو منتهاهُ
وينسجها المساء خيال طيف ... فخلتُ بأنه حقٌ رؤاهُ
وخلتُ معذبي المغرور عندي ... لينظر في ما اقترفت يداهُ
أتاني راجياً صفحاً جميلا ... وأن أعفو وأغفر ما جنهُ
فقلت له : فؤادي يا فؤادي ... أسيرك أنت في الدنيا هاهُ
ولن يعصيك فيما قلت أمرا ... فسل ما شئت وافعل ما تراهُ
فإن ترجو له ألماً يعاني ... وإن سعداً فأنت إذاً دواهُ
وأمسي بين أعيننا حديثٌ ... جميلٌ ليس تعرفه الشفاهُ
تحدثنا إلى أن ظل فجرٌ ... وأفغر في سماء الشرق فاهُ
فبان حقيقةً ما حاك ليلي ... وجاء الفجر ينكث ما بناهُ
وعدت كما أنا دربي طويلٌ ... ودربي كله شوكٌ وآهُ

وتهتُ مصاحباً حزني ووجــدي | وكم قبلي مع الأحــزان تــاهوا
وتسألني أأنـــت وقــد ســمعنا | كما قالوا أسير هــوىً ســباهُ ؟
يحدث نفســـه وكــأن شــخصاً | يرافقه وليـــس يُـرى ســواهُ
وتسألني أأنــت أســير حلــم ؟ | فقلت : بلى أيا حلمي أنــا هــو

يا ريح الحجاز

مازن العليوي

بالله يا ريحَ الحجاز ألا احمْلي
للشام نبضَ العاشـــق المتـــأمل

وخذي اللواعج من فؤاد هاجــه
مرِّ التغرب بعد عيش مخضـــل

اسري إلى بردى وبثّي همســـةً
شعريّةً راقـــت كشـــدو العَنـــدل

ولئنْ رجــعت إلى الحجاز فخافقي
يلتفِ فـــي عطفيـــك كـــالمتبتّل

يرجو بما تأتين عبــق نســائم
فيها الـــبراءُ لمدنـــف متعلّـــل

ترنو إليـــه فيســتفيق صبابــةً
يستافُ سبعة أنهر لــــم تبخـــل

روّته طفلاً ثم ســـاقته الهــوى
غضاً وإذْ ما شـــبَّ لـــم تتبـــدل

يالذّ ذكراهـــا وذكـــرى غوطـــة
سحريّة فتكـــت بطـــرف مُدلّـــل

من ساحل فيه الجمـــال منـــاغمٌ
بعماده .. وهواه عـــذب تغـــزّل

ويهيمِ لا يدري أفي حلب غـــدا
أم في الجنوب يسير أم في الشمأل؟

ليسلَّ من ذكراهُ .. حبّـــاً دافقـــاً
نحو الجزيرة والفرات السلســـل

فالديرُ والجسر المعلّقُ قربَتـــهُ
غربٌ وشرداقٌ وأنّـــة حرمـــل

وإذا يحــنُّ فــؤاده ... فلرقـــة
(وحنينُـــهُ أبـــداً لأَّول مـــنزل)

الأهلُ فيها والصحابُ وخفقـــةٌ
ومنى وأشواقٌ لرمـــش أكحـــل

كم قد شجاه البعدُ عن أيّامها ..
عن درّها المكنون عن وهج الحلي

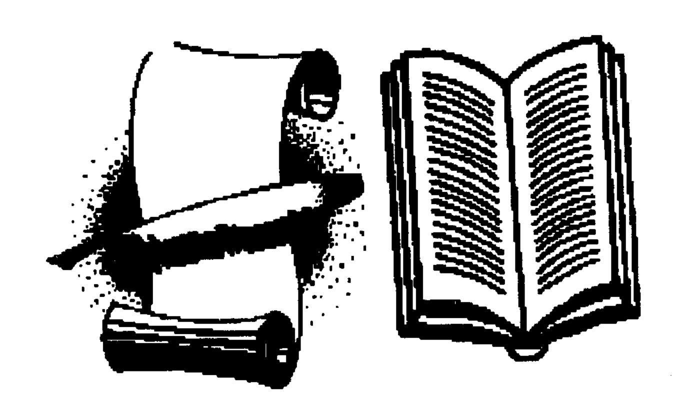
البابُ ، أم قصرُ البنات ، وجعبرٌ
ثم الرصافة يالشوق مرســـل

ممّن نأى وهواهُ يلهبـــه رؤىً
ويقول : (لا تهلكْ أسىً وتجمـــل)

لابدّ هذي الريحُ تحمـــل نســـمةً | منها .. ومنك تبثُّ همسة مُثقل
هيمان يبلى الجسمُ لكنْ وجـــده | يبقى يهلُّ كما الغيـــوث الهطّـــل
لتطير منه إلى الشـــآم جوانـــحٌ | ريانـــةٌ ذابـــت بعشـــق مثمـــل
ويعود يهتف لو تمرُ بقربـــه .. | ريحٌ يناجيها يقـــول : تمهّلـــي
وخذي فؤادي واغرسيه فجذره | ينمو هناك ، وزهره لـــم يذبـــل



القصة





المومياء

عايدة محمد مرعي الشريف

وأد البنات من سنن الجاهلية التي حرمهـــا الإســـلام .. إلا أن المفـــرزات المادية للحياة المعاصرة قلبت مفاهيم الفطرة السليمة لدى بعض الآباء ، فأصبحوا يمارسون الوأد بصورة نفسية وليست عضوية . مما يؤدي إلى تراكمات نفســـية لدى الابنة التي يضعها قدرها بين يدي أب من هذه النوعية ... وإلى آثار مدمـــرة على المجتمع إذا تحولت هذه المفاهيم إلى ظاهرة ...

في هذه الأقصوصة استطاعت سارة أن تتجاوز هذه التراكمات بما وهبهـــا الله من عقل وإدراك وعلم ... ولكن ...

هل ستكون كل فتاة يحرمها والدها حقها الشرعي في الـــزواج والإنجـــاب سارة أخرى .... ؟؟؟! أم تلجأ لأساليب منحرفة تنفس من خلالها عـــن الطاقـــات الفطرية التي أودعها الله فيها ؟

سؤال توجهه هذه القصة القصيرة لمثل هؤلاء الآباء وللمجتمع ... علّـــه يذيب الجليد الذي غلف القلوب ....!

نظرت إلى المرآة في دهشة ، وهي تتفحص خصـــلات شـــعرها ... أهـــي شعيرات بيضاء ؟!

هل مر من العمر ما يكفي لأن يتسلل إلى الشعر الكستنائي الجميل المؤشر الذي يحدد سنوات العمر التي مضت ؟!

تنهدت بعمق ، وخيل إليها أنها تزفر مع الهواء خليط المشاعر المتناقضة التي تحتدم في نفسها ... الثقة والعجز ... الحسرة والإحباط ... النفور ...

... نعم ، النفور ... وليس الكره لوالدها وزوجته . فهي على الرغم من معاناتها الثقيلة من زوجة والدها لا تستطيع أن تكرهها .. فطبعها المسالم ، وروحها الصافية الخيرة ، وإحساسها العميق بخبايا النفس البشرية ... لا يسمح لها بذلك ...

مسحت دموعاً حارة ألهبت وجنتيها كما تلهب هذه الهواجس وجدانها .

مدت يدها إلى الدرع الذي لازال على طاولة زينتها منذ عادت مساء أمس من حفل التكريم .. وأعادت قراءة العبارة المكتوبة عليه ، للمرة الألف ...

" غرس يديك هذه البراعم التي يقطف ثمارها الوطن "

" نحيي فيك المواطنة الصادقة ، والأداء العلمي المتميز ... "

إدارة الكلية

دوى في أذنيها صوت التصفيق الطويل ، والهتاف الذي زفّ خطواتها الواثقة إلى المسرح لتتسلّم درع التكريم من ضيفة الشرف ... ثم تهنئة وتعليقات زميلاتها وطالباتها ..

ست سنوات ...هي حصيلة عمرها الوظيفي كمحاضرة في الكلية . كان - خلالها - نشاطها الملحوظ ، وأداؤها المنضبط ، ونجاحها العلمي ... مثار حديث رؤساء العمل ، وزميلاتها ومجتمع مدينتها الصغيرة ...

ست سنوات ... كان - خلالها - إحساسها بالعجز والتبعية بين جدران بيت أبيها يتحول بين جدران الكلية إلى سباق لتأكيد ذاتها المفقودة في بيتها .. ويطلق العنان للشموس المشتعلة ، والقدرات الحبيسة في داخلها ...

ذلك التوقد الذي لم تطفئ جذوته سنوات الحرمان التي مرت بطفولتها بعد وفاة والدتها ، وهي في التاسعة ... ثم دخولها دائرة الحوار غير المفهـــوم مـــع امرأة غريبة... هي زوجة أبيها ...

بدا لها أنها تسابق الزمن ، حتى جاء اليوم الذي حملـــت فيهـــا شـــهادة دكتوراه في التاريخ إلى والدها ، كان سباقا ظالما وقفت فيه على خط المواجهـــة مع الكثير ...

كتبها ومراجعها وأطروحتهـــا ... ووالدهـــا وزوجتـــه ... وإخوتهـــا ... والمجتمع... والزمن ....

واجهت كل هؤلاء وحيدة إلا من تلك الشعلة التي لا يخبو أوارها في نفسها يغذيها شعور بالسلام والطمأنينة يكتنف علاقتها بخالقها ... فهي تؤمـــن إيمانـــاً واثقاً بأنه معها ... ملاذها وملجؤها من هذا الشعور الجارف بالوحدة والعجز ...

هذا الشعور الذي يتدفق كالنهر ، وهي ترى زوجة والدها تقبّل صغيراً لها أو تُدَلِّله ... وهي تستمع إلى زميلاتها في العمل يتحدثن بإسهاب عـــن أزواجهـــن وأطفالهن..

أما هي فليس لها ما تتحدث عنه سوى محاضرات التـــاريخ ... وأحـــداث التاريخ...

اكتنفها شعور بأنها مومياء ... تلتف حول جسدها السنوات ، وتنبعث منها رائحة الزمن الذي مضى تاركاً توقيعه بهذه الشعيرات البيضاء في شعرها ....

وتاركاً لها الجدار الوحيد الذي تستند إليه بعد الله ... شـــهادات الشـــكر ودروع التقدير التي تحصدها كل عام ... ونظرات الإعجاب والحسد من طالباتهـــا وزميلاتها ...

أما الرجل الذي حلمت به في بدء سنواتها الغضـــة ، فقـد تحجـر فـي أحلامها... وأصبح باهت الملامح ... صامتاً ... كمومياء التفت حولهـا مواقـف الرفض المتكرر ... فشلت حركته وأفقدته القـدرة علـى التعبـير والنطـق فـي داخلها...

كانت صورة الرجل في أحلامها تفقد جزءاً من ملامحها بعد كل مرة يتقدم فيها خاطب لها ، وينصب والدها أمامه ذلك الميزان البغيض الذي يساوم فيه على شهاداتها وجمالها ومرتبها ، فيبخسها حقها الشـرعي ... وإحساسـها بأنوثتهـا وأمومتها...

" إنها الدجاجة التي تبيض له ذهباً " ...

كرهت هذا التشبيه الذي خطر لها ... فهي كائن حي ... نعـم ... وهـي امرأة مكتملة النضج ...

هل نجح والدها في وأد تلـك الأحاسيس ... ؟! أو تراهـا نجحـت هـي في مهادنتها ، فأفرغت تلك الطاقة الهائلة في تعلقها بأختها الصغيرة – تلميذتهـا هذا العام في الكلية – ...

هل أشبعت من خلال هذه العلاقة شعور الأمومة الجارف في نفسها ؟!

قد يكون ... ولكن المثير حقا أن هذا زاد من معاناتها مع زوجة أبيها. فلم يشفع عندها هذا الحنان الذي تغدقه على ابنتها ، بل زاد ذلـك مـن تعنـت تلـك المرأة... وصور لها جهلها أن سارة تسرق ابنتها وتحرضها ضدها ...

لم تدرك ، ولن تدرك ... أن وعي الصغيرة بأخطاء والدتها تجاه أختهـا ، هو ما يشعل ثورات الرفض والاحتجاج لديها على تصرفات أمها أحياناً ... فتحاول هي أن تكبتها بتذكيرها بفضل الأم ، وتحذرها من العقوق مهما كانت الأسباب ...

قطع عليها سيل أفكارهــا طرقات على باب غرفتها ، وصوت (هيا) أختها وهي تفتح الباب :

سارة ، صباح الخير ...

هل أنت جاهزة ؟ لقد تأخرنا . لدي امتحان المحاضرة الأولى ..

أرجو أن يكون نصيبي من دعائك مضاعفاً اليوم ...

احتضنت أختها وقبلتها بحنان ، وهي تتمتم بدعاء .... وأسـرعت تضـع حجابها وتستعد للخروج ... إلى حيث تتحرر المومياء من أربطتها وتدفن نفسـها في العمل ... فتعود لها كرامة الميت الحي ...

العودة

سعد مشرع السبيعي

كانت الليلة حالكة السّواد والسحب المضطربة تتجمع في ســماء المدينــة الصغيرة والبرق يلمع من خلال الغيم المتراكم والريح تدوي وتنذر وتسوق أمامها قطعان السحب السوداء والســماء مفتوحة أفواهها تلقي بماء منهمر.. أوى ذلــك الشبح المتهالك في أسماله البالية إلى جــدار يتقي به المطر لملم أطــراف ثوبــه المتسخ حول جسده الهزيل عله يدفع عنه غائلة البرد أسند رأسه المتعب إلى ذلك الجدار وانحدرت من عينه دموع ساخنة لسعت وجنتيه المصفرتين من أثر السهاد. فقد مضت عليه ليالٍ لا يعرف حسابها وحليفه السهر ورفيقه الألم أفكاره تمســك بخناقه وهمومه تنشب أظفارها في قلبه رفع وجهه للسماء ودعا اللــه أن يعينــه أخذته غفوة رأى ذلك الطفل السعيد في تلك الأسرة الهانئــة طالعــه وجــه أبيــه بابتسامته الحانية التي تطفح بشرا وبشاشة ووجه أمه آه.. أيتها الطيبـــة .. كــم أشتاق لضمة حنان .. وأخواته البنات .. ورفاق دربه ينتقل معهم كالعصافير مــن بستان إلى بستان لا شيء يمنعهم يفعلون ما يشتهون ببراءة الأطفـــال وســماحة الأهل والجيران ويعودون من ملاعبهم كل إلى داره حيث يلتقون الشوق في عيون الأمهات .

تذكر أول أيام المدرسة وفرحة أسرته التي لا توصف والتي ما خابت يوماً وعلامات المدرس والنجوم التي تسطع في دفاتره وتعلن عــن تفوقــه والســيارة

اشتراها له والده حين اجتاز اختبار الكفاءة بامتياز . يا إلهي أو هكذا يضيع كـــل شيء مرة واحدة.. لا تتخلّ عني يا رب .

مرت حياته أمام عينيه في لحظة واحدة وكأنها شريط سينمائي قفز إلـــى ذهنه ذلك اليوم الحزين .. رأى الأهل والجيران يشدون على يديه .. ويقولون مـــا تعود الناس قوله في مناسبات العزاء (عظّم الله أجرك) .. ادع لأبيك بالمغفرة .. وتذكر أنه لم يبك وأن الدموع تحجرت في مآقيه .. لكنه بكى كثيراً فيما بعد .. كان يحب أباه أكثر من أي شيء آخر. وكانت امتحانات الثانوية على الأبـــواب أراد أن يسعد به والده في قبره قرر أن يتفوق وقد كان.. لكن الفرحة هذه المرة كان لهـــا طعم آخر.. قدم أوراق الالتحاق بالجامعة وسافر إلى المدينة الكبيرة وهناك أحـــس بأنه ذرة صغيرة تسبح في فضاء لا نهائي لا يعرف أحداً ولا أحد يعرفـــه إلـــى أن كان مساء يوم سيظل محفورا بحروف الألم في كيانه ســـمع طرقاً على باب غرفته قام ليـــرى من الطارق طالعه وجه زميل كان يراه فـــي زحمـــة الوجـــوه .. أراك وحـــيداً منذ قدمت من بلدتكم ، لماذا لا تجرب الخروج معنا والسهر ؟ ابتسم قائلاً: لا أعرف أحداً هنا ولم أتعود على السهر وأود أن أحافظ على تفوقـــي .. اتصـــل حبل الحديث بينهما في مواضيع شتى حول إبريق الشاي وانكسرت داخلـــه حـــدة الإحساس بالوحدة والاغتراب.. في المساء التالي دخل عليه صديقه الجديد (هيـــا بنا) قالها بحسم لم يترك له فرصة للتقاعس ركبا السيارة أوصلتهم إلى بناية فـــي الطرف الآخـــر من المدينة دخل وراء صديقه حتى وصلا إلى شـــقة دق الجـــرس فتح الباب شاب قال : مرحباً تفضّلا بالدخول طالعتنا ردهة بها بعض الأثاث الذي يوحي بأن الشقة ليست لعائلة وجدت بعض الشـــباب ممـــن هـــم فـــي أعمارنـــا منهمكين في لعب الورق.. ودخان سجائرهم يخنق جو الردهة ناولني من فتح لنـــا الباب كوبا من الشاي وجلست أراقب الجميع بينما انهمك صديقي معهم .. رأيـــت

وجوهاً متعبة تعلوها صفرة غريبة ربما من السهر رأيت أحدهم : ينتحـــي ركنــاً ويحدق في اللاشيء يدخن بشراهة وكانت عيناه غريبتين أفقت من شرودي علـــى صوت أحدهم : ألن تجرب حظك في اللعب ؟ اعتذرت برفق فقد كنت لا أعرف كيف يلعبون ، مد أحدهم لي يده بسيجارة وعدت أعتذر فأنا أكره التدخين .

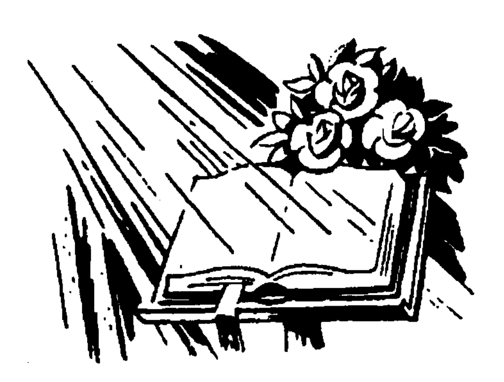
نظر الجميع تجاهي فجأة وقال أحدهم في سخرية : لا تلعب . لا تدخـــن .. لا.. ماذا أتى بك لمجلس الكبار ؟ قهقه الآخرون.. احمرت أذناي من الغضب قمت واقفاً وقلت لهم: التدخين حرام وليس كبيراً من يضيع وقته وصحته فـــي ســـهر ولعب ورق وقد أخطأت فعلاً بمجيئي إليكم . قام صديقي يربـــت علـــى كتفـــي : لا تغضب، إنهم يمزحون والجلسة (أناسه - للفرفشة) نظرت إليه معاتباً واندفعـــت نحو الباب حتى خرجت من البناية لا ألوي على شيء وركبت ســـيارتي قدتها حتى أوصلتني إلى البيت بدّلت ملابسي وجلست أمام النافذة يصافح وجهي نســـيم الليل البارد وأخذت أفكر فيما حدث أخذني الليل والفكر ولم أشعر إلا بدقات الساعة تعلن الثانية من صباح يوم جديد حاولت النوم لكنه لم يطاوعني وظللـــت أتقلـــب فـــي فراشي لا أعرف إلى متى ولكنني استيقظت وقد قرب النهار أن ينتصف على دقات بابي قمت متثاقلاً وأنا أشعر بصداع وإرهاق شديدين فقمت بصعوبة فوجدته لـــدى الباب واقفاً : ما بك ؟ قالها وهو يتصـــنع الانزعاج ، لا شيء - قلت له - بعض الصداع وقلة النوم قال مبتسماً : لا تقلق خذ هذه الحبة وسيزول الصـــداع فـــوراً الصداع تناولتها دونما اهتمام وما هي إلا دقائق حتى أحسست بأنني في عالم آخر كنت بين اليقظة والنوم ، بين الحقيقة والهذيان ثقلت أجفاني وأحسســـت برغبـــة ملحة في النوم .

وكانت تلك الليلة بداية السقوط والانحدار نحو الهاويـــة اســـتنزف هـــذا الشيطان كل نقودي تذرعت بكل الحجج حتى أحصل على النقود من أهلي ولتدخـــل

بدورها جيب الشيطان وأنا الذي لم أكذب مرة في حياتي قبل أن يصيبني هذا الإعصار المدمر وانتهى العام وكانت النهاية الحتمية هي رسوبي للمرة الأولى وحان موعد العودة لبلدتي أفقت على الحقيقة المروعة أنا راسب ماذا أقول لكل من أحبوني ووثقوا بي بكيت كما لم أبك في حياتي وكان قراري المقاومة حتى لو أدت إلى الموت ارتاعت أمي لرؤيتي شبحاً هزيلاً وأشفق عليّ أخواتي طمأنتهن بفؤاد منكر وعينين لا تقويان على النظر إليهن ازدادت شراسة المخدر اللعين وازددت حدة في المقاومة كنت أغيب عن الوعي فأرى فيما أراه أبي يأخذ بيدي ويشجعني دعوت الله كثيراً .. دوامت على الصلاة .. في تلك الليلة داهمتني تلك النوبات المقيتة تسللت من المنزل وهمت على وجهي نقلتني سيارة إلى بلدة أخرى لم أحسب الأيام التي مرت عليّ وأنا بعيد عن أهلي نفدت نقودي وشعرت بجوع شديد بعد أن كانت نفسي لا تهفو إلى الطعام أيقنت أني أتماثل للشفاء قصدت المسجد صليت وبكيت قرأ الإمام { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله } أخذني الشيخ إلى منزله اغتسلت وأكلت أحضر لي ثوباً نظيفاً نمت كما لم أفعل منذ مدة طويلة أفقت من النوم على صوت أمي.

حمداً لله على سلامتك يا ولدي ، احتضنني خالي بدموع الفرحة وبدأنا رحلة العودة ....

دراسات نقدية





دراسة تحليلية فنية للمجموعة القصصية

شهادة للبيع وقصص أخرى

من تأليف الأستاذ الأديب /

محمد بن عبدالله الحميِّد

أعد الدراسة الدكتور /

ماهـر الملاَّح

أستاذ الأدب المقارن بقسم الأدب بكلية اللغة العربية بأبها

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد أفصح من نطق بالضاد، وعلى آله وصحبه أهل البلاغة والأدب والبيان وبعد / فهذه نظرات نقدية في المجموعة القصصية (شهادة للبيع) لكاتبها الأستاذ / محمد عبدالله الحميدٍ .

تمثل هذه المجموعة مرحلة الريادة للقصة السعودية ، وكاتبها يُمثل جيل الرواد الذين وقع عليهم عبء النهوض بالأدب السعودي ولا سيما في أجناسه الجديدة مثل الأقصوصة التي أخذت مكانها بسرعة فائقة بين فنون الأدب . ونحن

نتناول المجموعة من هذا الجانب نقدر لكاتبها الجهد المبذول ، ونقر في ذهن القارىء أن البداية في كل شيء تحتاج إلى قدرة فائقة لتنسج من فن أدبي ، لا نقول إنه غير موجود ، ولكن لم يأخذ مكانه الصحيح بين فنون الأدب الأخرى إلاّ بفضل الله الذي هيأً للقصة السعودية هذه الكتابات وهذه الأقلام ، ومنها المجموعة التي نحن بصددها ، فغدت اليوم يشار إليها بالبنان ، وتقوم بمهمتها في تربية النشء وتهذيب الأخلاق ، والحث على الفضيلة ، والاعتزاز بالنفس والوطن ، والإيمان بالله إلى آخر وظائف القصة الهادفة في العصر الحديث .

والمجموعة من الناحية الموضوعية ينتقي كاتبها ما يروقه من صفات طيبة يحبّ أن تسود أو يوجه إليها ليدلل على تمتع المجتمع بها ، ولا سيما مجتمع القرية أو البادية ، وهو المجتمع الذي تظهر سماته وخصائصه من خلال قصص المجموعة .

وإذا استعرضنا بعض العناوين ندرك ذلك بسهولة فمثلاً : (عروبة) ، (شجاعة وشهامة) و (بطولة) ، (مروءة) ، (صقر من عسير) ... إلخ العناوين، ونرى أن هذه العناوين ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموضوعات قصصها .

فمثلاً المجموعة (عروبة) نجد فيها صفة كريمة للمجتمع العربي يتحلّى بها وتستقر في أبنائه ، ويجعل الكاتب مصدر هذه القصة راوية من المجتمع يعرف أسراره وأخباره ، وهو بدون شك يريد أن يثبت أن هذه الصفات ليست جديدة على المجتمع بل هي في وجدانه وتاريخه . ويدل على ذلك بداية سرد القصة :

(كان ذلك يا بني منذ نصف قرن من الزمان ، وكنت إذ ذاك في عنفوان شبابي) إنه صوت يدلّل على ماض ، ولكن يوضح للجيل الحاضر ، ويريد أن يدعو لمثل هذه الشيم النبيلة .

إن محور القصة هو وصف المجتمع البدوي في أفراحه وتعاليمه عند ذوي الحكمـــة والعقل على ما يمكن أن يؤدي إلى مشاكل عظيمة ونتائج وخيمة ، ففـــي بعض الأفراح يأتي المهنئون ومعهم الراوية راوية القصـــة إلـــى فـــرح ، وعنـــد الوصول إلى القرية المراد مشاركتها الفرحة، وعلى عادة أهل البادية في التعبـــير عن فرحتهم بإطلاق الأعيرة النارية ، هذا وإن علّل الكـــاتب هـــذه العـــادة بأنهـــا للترحيب وفي نفس الوقت تكون لإظهار القوة . ولكـــن يحـــدث أن يصيـــب أحـــد المهنئين شاباً من أصحاب القرية المستضيفة . وبهذا يضعنا الكاتب أمـــام حـــدث معقّد فماذا ستكون النتيجة ؟ كلمـــات الكاتب توضح مدى فداحة هـــذا الخطـــب (وكانت صدمة لا تقاس بها صدمة منيت بها القبيلتان) ثم بعد ذلك يأخذ الكاتب من خلال هذا الحدث يثبت أخلاق القرية وذلك عندما تكون القرية المصابة هي صاحبة الدار ، ويكون الجاني غير قاصد بما لا يتنافى مع الحفاظ على الكرامة ، وتنطـــق كلمات الجاني :

والله ما جيـــت للشـــر متعنِّـــي	غير الأقدار تجري فِي مِجاريها
والله لا دوس وارقـــص وأغني	والتوالـــي لهـــا ربٍ يجلّيهـــا

فهو لم يقصد الشر كما يوضح الكاتب ، وهنا تنهـــض الأخـــلاق العربيـــة الأصيلة لتزول المحنة وتنفرج الأزمة ، ويعود الوئام ، ويستمر الاحتفال ، وتقـــام الموائد ، وتتعالى القرية على هذه المحنة ، وتسير الحياة في إخاء . وهذه نظـــرة من الكاتب يدلِّل بها على مدى ما يتمتع به مجتمع البادية من كـــرم فـــي الطبـــع ورجاحة في العقل (وانفضّ الجمع في سلام واطمئنان) ويجـــعل الكـــاتب هـــذه قصة واقعية .

ونحن نقول حتى وإن كانت غير واقعية فقد أفلـــح الكاتب فـــي إقناعنـــا بإمكانية حدوثها .

ولا يقف الكاتب عند هذا الحدّ بل يأتي بقصة (شجاعة وشهامة) لتعكس خصلة أخرى (العفو عند المقدرة) وهذه صفات نبيلـــة نريـــد أن نربّـــي عليهـــا أبناءنا، وذلك عندما يسير غني بين الجبال والوهاد بعيداً عن العمـــران ، ويقـــود الطمع بعض اللصوص الذين رصدوا حركته طمعاً في الاستيلاء على ما معه مـــن مال . ونرى الخطر المحدق في بندقية في جوفها النار ، ورماح ذات أطراف تلمع مسنونة . ومعنى ذلك إمّا التخلِّي عن المال وإما الموت ، ولكن الشجاعة والتمسك بها يقودان البطل إلى مواجهة الموقف بإصرار ، ويخلع الكاتب على البطل صفـــة العقل والاتزان عندما يردّ على تهديد اللصوص (بأن يأخذه أحدهم في وجهه) أي يحمي حياته ويتسلم الراحلة بما عليها ، ولكن عندما يتقدم من يحمـــل البندقيـــة يعاجله بضربة على يده ، ويأخـــذ منه البندقيـــة، ويصوبها ناحيتهم ، وتتغير دفّة الأحداث ليملك البطل زمام الأمر ، ويسوق اللصوص أمامه ، وهنـــا الشـــق الأول يظهر بوضوح وهو الشجاعة . والمنتظر أن ينتقم البطل مـــن اللصـــوص الذيـــن عرّضوا حياته للخطر ، وطمعوا في الاستيلاء على ماله ، ويقابلهم بمثل فعلهـــم ، ولكن يحدث غير ذلك ، فيقابل إساءتهم بالإحسان ، فيذهب بهم إلى منزلـــــــه ، ويذبح لهم ، ويقدم لهم الطعام والقهوة ، والكرم العربي الأصيل .

ويكشـــف الكاتب عن تجاور الشرّ والخير عندما لا تكون هذه الصفات هي الوحيدة ، بل يجاورها الحقد والكره والطمع إذ يكشف من كان ملثماً من اللصوص وجهه فتكون المفاجأة أن نرى اثنين منهم كانا جارين سابقين للبطل كانا قد أكـــلا من طعامه ، وينهض في المقابل الخلق الكريم ، إذ يقـــول البطـــل : (لا عليكمـــا تعشّيا مع صاحبكما هنيئا وأنا معكم ..) ويدعوهم إلى التخلي عن الشرّ والإجرام ، وينتصر هذا الصوت ويسود ، وهنا يعلي الكاتب من شأن الفضيلة ويجعلها تسود.

وهذه قصص طالما تعلّقنا بها ، وأشاعت في نفوسنا المتعة إذا تناولناهـــا مرتبطة بعصرها والجوّ الذي قيلت فيه ، ولم نطبق عليها أساليب القصة الحديثة ، وبذا يكون الكاتب قد نجح في إمتاع القارىء وإفادته .

وهذا أنموذج يوضح بجلاء منهج الكاتب في اختيار موضوعاته، إنه مغرم بالصفات النبيلة التي يعلي المجتمع العربي من شأنها ، وتشيع فيه المتعة ، ويجد فيها الشخصية العربية مجسِّدة بما تحمله من أمثلتها التي تدور على ألسنة الناس مثـــل (العفو عند المقدرة) وهذا جانب تضمنته القصة السابقة .

ونجد في جملة موضوعات المجموعة ما يفتح باب الأمل أمام الطبقة الدنيا من المجتمع بأنه إذا افتقر المرء يستطيع أن يحقق طموحاته ، وما يصبو إليه من أحلام .

وهذا غرض من أغراض القصة التقليدية زمن نشر المجموعة ، وهو مـــا نجده في قصة (قد يكون الفقر سلّم المجد) وهو ما يتجسَّد في بطل القصّة الـــذي أطبق عليه الفقر والبؤس بعد وفاة أبيه الذي لم يخلّف له شيئاً يعينه على مواصلة الحياة ، ويرهق الفقر صحة الأم التي ما تلبث عندما يبلغ خمسة عشر عامـــاً أن تفارق الحياة، ويشرب بذلك كأس التعاسة إلى آخره .. وبذا يضـــاف إلـــى فقـــره الوحدة . وبذا يصور لنا الكاتب وقد أفلح في ذلك لحظة الذروة ، ويطبع في ذهـــن القارىء قمة ما يمكن أن يصل إليه إنسان في هذا الوجود من الشـــقاء والفقـــر ، وفقدان النصير والأنيس . ومن هذه الأزمة حالكة السواد ينسج الكـــاتب خيوطـــاً جديدة في أملِ الإنسان الذي لا يقف عند حدّ على الرغم من المصـــاعب ، فيفكـــر البطل ويصممّ على الهجرة ، وفي الهجرة يغالب الحيـــاة ، ويصـــارع عقباتهـــا ، ويصل إلى قمة النجاح عندما يصبح طبيب صحة منطقـــة مـــن منـــاطق الوطـــن الحبيب. وبهذا يكون الكاتب جاء بلحظة التقرير التي قصدها حيث جاء النجـــاح ،

وتحقق الطموح على الرغم من العقبات ونرى الكاتب يدقق على هـــذا المعنـــى (قمت من نشوة الفرحة أرقص طرباً بانتصار صاحبي وفوزه في المعركة الأخـــيرة الحاسمة من صراعه مع الحياة ، لقد فاز بقصب السبق في ميدانها). إنها لحظـــة تدعو كل إنسان ليعمل ويجدّ ويواجه المصاعب بإرادة قوية وعزيمـــة صادقـــة لا ييأس ولا يتوانى ، وهذه مهمة جليلة أدَّتها هذه القصة ببساطة ، وزاد على ذلـــك الأسلوب الشائق والمتعة الكبـــيرة التي تشعّهـــا القصـــة مـــن كـــل قارىء لها ، وينطق البطل بما يجسّد حكمة القصة وهدفها في آخرها : [حقيقة يا صديقي مـــا يقال إن المصائب فوائد فلقد كان مرض أمي ــ رحمها الله ــ وما قاسته من آلام وأوجاع خير معوان لي على نجاحي ومواصلة حياتي التعليمية] .

ومع ذلك وجدت موضوعات دون المستوى ، وهذا شأن الأعمال القصصية أنها تجمع بين القوي والضعيف ، لأنها رؤى لكاتب حسبما ينطبع في ذهنه تجـــاه أفكار يريد أن يتحدث عنها ، أو يبوح بها ولا سيما في فـــن القصـــة القصـــيرة ، وربما تختلف رؤية الكاتب مع رؤية الناقد ، ولكن لا ضير ، فهمّ الناقد أن يصـــل بالفكرة إذا ما لاقت لديه أسباب القبول إلى أن يزيد وضوحها ويدقق على أهميتها.

ومن القصص التي جاءت دون المستوى [شهادة للبيع] فـــالفكرة التـــي ارتكزت عليها القصة الشهادة بدون عمل ، ويجعل للقصة دوراً هنا في المملكـــة مما يجعل فكرتها قلقة وتكون بعيدة الإمكان :

(كان يرتدي الزيّ الوطني الحبيب) ويجد في عمل غير لائق إهانة وذلك في سبيل لقمة العيش ، وهذه الفكرة تناسب أماكن أخرى ، ولكن بدون شك بعيدة الإمكان هنا . لأن طلبات الخريجين من كل مكان في المملكة تلبّى للحاجة الملحـــة ودون انتظار ، ولكن قد تكون هذه نظرة مستقبلية للكاتب أن الشهادة إذا ما كثرت عن المطلوب أصبحت لا قيمة لها ، وهو ما نشاهده في كثير من البلدان مثل مصر

مثلاً، وعلى ذلك تكون الفكرة محمودة، إما إذا وضعنا في الحسبان زمـــن كتابـــة القصة أي منذ أربعين عاماً تقريباً نجد الفكرة لا وجود لها .

لكن خلا المشار إليها سابقاً نجد موضوعات القصص وفكرة كـــل واحـــدة منها جيدة تحمل الإمتاع والفائدة . وهو ما يمكن أن نجده في قصة (مروءة) التي دلّلت بعمق على خصال عربية جميلـــــة تحلى بها البطل وهي تدور في فلـــــك قصة [شجاعة وشهامة] إلاّ أنها تفرّدت بالزاوية التي ناقش من خلالهـــا الكـــاتب فكرته ، إذ يجعل القصـــة على لسان بطلهـــا ، وفيها ترى معنى الإنسانية بوجهها الذي يجِّمل الحياة عندما يجد الإنسان غريمه وهو قادر على الاقتصـــاص منـــه ، ويتغلب دافع الخير ليسيطر على تصرفات الشخصية المحورية فـــي القصـــة . إذ يتيتَّم (عصام) على يد قاتل أبيه المسمَّى (شعبان) وتمرّ السنون، والأم تعدّ ابنهـــا لأخذ ثأر أبيه وبعد أن يصبـــح طبيباً جرّاحاً يسوق القدر خصمه وقاتل أبيـــه لأن يقع تحت يديه ليجري له عملية جراحية ، وفي أثناء نومه تحت تـــأثير المخـــدّر يهذي بكلمات يعرف منها عصام أنه الذي أذاقه مرارة اليتم ، ويفلح الكاتب من أن يعكس لنا دخائل النفس وتأرجحها بين الشرّ وحبّ الانتقام ، ولكن كما يقول الكاتب (إن هاتف الخير المنبعث من أعماق عصام أحدّ من الانسحاب من هذا اللقاء الذي حدّد زمانه ومكانه القدر العجيب) بعد أن تسبب في حياة خصمـــــه وأجـــرى لـــه العملية وفي المقابل يتبدل الشر ويحل مكانه خير عميم بأن يقف (شعبان) أمواله على أعمال البر والإحسان ، ويكـــون العمل الطيب دافعـــاً لشـــعبان للاعـــتراف واستعداده لملاقاة جزائه أولاً ، وثانياً بما ختمت به القصة صنع الخير المتمثل في وقف أمواله على أعمال البر .

وبذا نرى الكاتب قد أفلح في أن يشدّ انتباهنا إلى آخر كلمة ، وقـــد رزق أسلوباً سلساً يستطيع أن يجذب القارىء ويستولي على عقله وقلبه إلى أن يضـــع

بين يديه هذه المعاني الكبيرة التي لا تحلو الدنيا إلا بها، وهي الصفح والتســـامح وحب الخير والتغلب على نوازع الشر، وهو ما عبرت عنه هذه القصة خير تعبير، ونرى عبق الأرض الطيبة والتمسك بواقع المجتمع الذي يعيش فيه ، ويتغلغل حبه في أعماقه من خلال ثلاث قصص كل منها تناول هذا الحب من زاوية ، والقصص هي :

١ ـ الطبيبة أنا جهلان

٢ ـ قاتل أبيه

٣ ـ صقر من عسير

فتجد قصة (الطبيبة أنا جهلان) قد يكون هنـــاك دافـــع لكتابـــة القصـــة وصياغة فكرتها ، ولكن سنقتصر على ما يقود إليه النص ، فالفكرة هي الارتبـــاط بواقع المجتمع والتمسك به ومحاولة الاطمئنان إليه ، وهو شبيه تماماً بما صنعـــه جيل الرواد للقصة المصرية في فترة أسبق من الذي كتبت فيه القصة ولا ســـيما عند يحيى حقي . وعرض الحدث يتميَّز بخفة الـــروح والبناء بأخذ طريق المواقف المتناقضة، فبينما (فالح) يصاب بألم ويذهب إلى المستشفى الذي لم يفلـــح فـــي تقديم أيَّة معونة له، يرجع إلى (أم عايض) وهي طبيبة ، ولكن من ناحية موروث المجتمع القديم ، وتصبح رمزاً لبقاء الوفاء ، وللدفء الاجتمـــاعي القديـــم عنـــد الكاتب، ولا تفلح مكتشـــفات الطب الحديثة في إبعاد الكاتب عن هـــذا المـــوروث الذي أصبح في القصة يدلل على معنى الحياة الحقة ، حقاً لا ينهض الواقع ليؤيـــد هذه الوجهة ، ولكن عالم القصة يقنعنا بإمكانية حدوثه ، ولذا يأخذ طريـــق عـــدم المواجهة بين الماضي والحاضر، فيجعل فالح عند ذهابه للمستشفى يجد الإهمـــال واللامبالاة والاستهتار ، وكل ذلك يحول دون فحصه بطريقة ســـليمة ، وإعطائـــه

الدواء المناسب ، وبذا ينجح الكاتب في بلورة ما يرمي إليه من عدم غناء هذا كله عمّاً تعلقت به نفسه من عادات ألفها المجتمع ، حيث يجد فالح بعد عودتـــه التـــي بحث فيها عن العلاج ، وفشل البحث . بعد هذا يذهب إلـــى (أم عـــايض) التـــي تصبح في القصة رمزاً للتمسك بتراب القرية ، واسنشاق أريج العطر من ثـــراه . وأم عايض تنجح في أن تعالج فالحاً بالكيّ ، وينهض من مرقده بعد أيام قليلـــة ، وهو يتوثب نشيطا مرحاً ، كأنه لم يمسّه سوء . ويصل الكاتب إلى أن يغرس فـــي ذهن القارىء الفكرة المحورية ، وهي التمسك الاجتماعي ، والاعتزاز بالمـــاضي مهما أصاب الحياة من رقي وتغيّر ، وهي عاطفة محمودة نجد النشـــوة واضحـــة تماماً من إقرارها بآخر كلمات القصة : (قاصداً الطبيبة العربية التي نجحت فـــي تطبيبها الساذج حيث فشلت طبيبة الغرب فيما ملأت الدعاية به الأسماع) .

والقصة الثانية (قاتل أبيه)

وفيها يوضح الكاتب مقاييس تربوية غالية في معاملة الأولاد ، ولا شـــك فهذه نقطة شديـــدة الاهتمـــام ، ويختلـــف حولهـــا النـــاس كثـــيراً ، والكـــاتب يوضح طرفي نقيض ، فلا يرتضي الشدة المطلقة ولا اللين المطلق في قوله : (إن اتباع الشدّة في تربية الأطفال أو اللين سلاحان ذو حدّيـــن إلا إذا خلطنـــا بينهمـــا بمقدار) . ويبين العلّة التي قد تغيب عن البعـــض فيختار أحد طرفي المعادلـــــة الصعبة ، [فالطفـــل إذا عومل بالشدة نشأ معقّـــد النفـــس ، جبـــان الإرادة ، وإن عومل باللين نشأ خامل الذكر ، عديم النفع] ولا يكتفي بذلك بل يرســـم الطريـــق الصواب (إذن لا بد من الوسط والوسط دائماً) ويمثل هذا الجزء المقدمـــة كمـــا

درجت القصة التقليدية بأن تحوي مقدمة تمهد لحدث القصة ، وتهيئ ذهن القارىء لاستقبال وفهم القصة . ويجعل الكاتب القصة تنساب عن راو على ما عوّدنا بأن قصصه منتقاة من أرض الواقع وإن كان هذا الأمر لا يعنينا كثيراً ، لأن جودة القصة تقاس بإقناع الكاتب لنا بإمكانية حدوثها ، وهو ما أفلح فيه الكاتب ، ويمعن الكاتب في التدليل على واقعية قصته (لا شأن لي بتحديد الزمان والمكان ويكفيني أن أقول أن مسرح القصة قرية نائية من قرى عسير ... وانتهت منذ بضع سنوات) .

ويحاول الكاتب في نسجه أنْ ينمي الحدث من منطلق أنه هو السبب الرئيس من بذل الحياة وجلب الشفاء (هو فلاح متوسط الحال ، أنعم الله عليه بالزوجة الصالحة والابن الوحيد واليسر في الرزق) . وهذه مكونات حياة سعيدة بكل المقاييس، ولكن التصرف السيئ والفهم الخاطىء ينساب خيطاً رفيعاً من البداية (وقد جبل على القسوة في أعماله ومعاملاته) ، ويساند هذه القسوة مما يزيد الطين بلّة ، ويكون بذلك خرج من الحياة الهانئة بسبب يبني عليه رأيه عن طريق الحكاية التي تتميز بالمتعة والتركيز ، والناس مجبولون في كل مكان إلى الميل الفطري إلى عنصر الحكاية وبليغ تأثيرها في النفس ما لاتصل إليه النصائح المباشرة والخطابة ، وكما نرى هذا الكلام من خلال القصة التي معنا يجعل القصة تؤدي دورها خير أداء ، وتمدنا بالعظة المستقاة عبر التاريخ ومن تجارب الحياة .

ويكشف الكاتب في براعة عن جوانب مهمة هي نقطة الارتكاز في معاملة الأب لابنه :

(إنه لم ينل حظاً من حنان أبيه ، ولم يفز بقسط من حبه)

ويجعل السوط والضرب هو وسيلة التفاهم الغاشمة عند أية بادرة تصـــدر من الابن أو يرتكبها ، وبذا يخلص القارئ إلى صور معينة قاده إليها الكـــاتب ، ورسم معالمها ، ويزيد الأمر وضوحاً بأن هذه الطريقة محببة إلـــى الأب (والأب الغاشم بهذه الطريقة الفظّة، الفذّة في شذوذ التربية معجب) وليس المقصود منها كراهية ابنه لأن هذا مسلك يتعارض مع عاطفة الأبوّة ، ولكن هو الفهم الخاطئ [لأنه يقصد من ورائها أن يجعل من صغيره رجلاً] وإذا كانت الشدة فـــي الصغـر حاول الكاتب أن يرسم لنا وجههـا تماماً فقـد اتبـع طريق التسلسل ، ولم يفضح بمراده دفعة واحدة، بل شيئاً فشيئاً ، وهذه براعة قصصية ، مع أن القصة لم تأخذ إلا خمس صفحات ونصف ولكن استغلّ الكاتب الإيجاز والتركيز ، وهـــي عنـاصر مهمة لنسج القصة القصيرة من الناحية الفنية .

ونجد أنفسنا في تقدم زمني يسير إلى الأمام كما في القصـــة التقليديـة . ولكن لنضيف مدلولاً جديداً فكل كلمة لا بدّ أن تضيف شيئاً (لقد بلغ الصبي مرحلة المراهقة القلقة) وبذا يطبع في ذهن القارئ ما يمكن أن يصدر من الابن في هذه المرحلة ، وتأخذ القصة سمة التصاعد الفني بمعنى يشبه الصعود إلـــى القمـة ، فتضيف إلى المرحلة السنيِّة الحرجة مخاطر أخرى (وسلمه أبوه قطيعاً من الغنـم ليرعاه ، وبندقية مزودة برصـاص ليدفع عنه غائلة الذئب) حقاً هـــذه مهمـــة الابن ولكن مصاحباً التغير في حياته . (وشفع التسلم بالتهديد والوعيد بما كـــان وما سيكون إن هو أهمل أداء ما أوكل إليه ...) .

إننا نشاهـد الكاتـب ما يزال يعزف على الوتر المهم الذي يقصد إليه أن الشدّة خطأ ، ومن جانـب آخـر يأمل أن خطأه هذا سيأتي بفائدة مرجوّة لديـه ، وبذا يمكن أن الواقع يناقض تماماً فكرة الأب المستقرة في نفســه ، وهـذا مـن مسلك الأب المستمر على فكره ، ومن الواقـــع الذي لا يعجبه العجـــب ، فهـو

ينتحل الأسباب للنيل من ولده ، فقد حدث ذات ليلة هجع سامرها أن اتهـــم ابنــه بتضييع أحد الحملان ، وأنكر الصبي التهمة بأن أراه الحمل تحت إحــدى الشـياه يرضعها، ويصل الأمر إلى القمة أو ما يعرف في الفن القصصي بلحظة الـــذروة ، وهي المنطقة التي يبلغ فيها الحدث منتهاه فيقول الكاتب عن ردّ فعــل الأب أمـــام سلامة تصرف ابنه :

(فأبت عليه كبرياؤه الاقتناع ، وأمر زوجه بحرمان ولدهما من عشائه ، وكلَّفه من فوره بالمبيت مع الغنم لحراستها ، ثم صفق وراءه باب حجرته) .

وبعد أن أنهى الكاتب التصور الكامل لهذه الفكرة الخاطئة فــي تربيــة الأبناء من كل جانب ، بحيث نضجت في ذهن القارىء ، أخذ ينسج فـــي النتيجــة المترتبة عليها، وهذه جدّة فنية تحسب للكاتب (الكبت يولد الانفجار بـــلا شـــك ، والصبي طالما اجترّ غصصه وآلامه ، وكبت ما استطاع كبته من الذل والهوان .. أمّا الآن) ونقف بهذه الفقرة عند مفترق الطرق في القصة إن صح لنا قول ذلـــك بين مرحلة لها معالمها ، ومرحلة جديدة تأخذ في التشكل والظهور . ولـــم يلبـث الكاتب أن وضّح النتيجة المترتبة على ذلك (وفكّر وقدّر في جعل حدٍّ تنتهي عنده مأساته ، ووافته فكرة رهيبة ، عندما لمح البندقية المحشـــوّة بالرصـــاص علـــى مقربة منه وسوس له شيطانه : ألست قد أصليت الذئاب نارها ولم تؤذك قدر مـــا آذاك ذئبك البشري هذا أيها الغبي.. . فلم لا تثبت له رجولتك حقاً بإطعام جســـده واحدة من رصاصاتك ..؟ .

وبهذا التساؤل يوضح الكاتب النتيجة التي ترتبت على الطريقة الخاطئة في معاملة الأبناء ، وقد أفلح بأن جاءت النتيجة مستقرة وغير مفاجئة واختار لها سن المراهقة لتلائم التصرف الذي جاء [وراقت له الفكرة ، وهبَّ من مرقده متســـللاً

ببندقيته خلال باب الحجرة النصف مغلق ، وانطلقت رصاصة استقرت في صدر أبيه لتسكت لسانه الذرب إلى الأبد] وهكذا كان ردّ الفعل القسوة والغاية منه وجهت نظر الابن إلى التخلص من الأب ، وإساءة لسانه ، وكان يمكن أن تنتهي القصة عند هذا الحد لأنها أدت مهمتها في تنوير ذهن القارىء وما بدا في عنوان القصة من غرابة كانت لها مبررات جعلتها في ختام القصة مقبولة أو على الأقل لها أسبابها ، ولكن يأبى الكاتب إلا أن يقرر براءة الابن من الذنب [عرضت القضية على القاضي وأحاط بظروفها وملابساتها وراعى صغر سن الصبي فحكم عليه بأن يدي أباه] .

ويصرح بالهدف الذي من أجله ساق قصة بأن أثرها ظهر على السامع [لأنه جعل القصة تُحكى على لسان راوٍ كما سبقت الإشارة إليه من البداية] بأن [كان رد الفعل عند صديقنا المضيف سريعاً ، إذ بادر إلى استدعاء طفله طابعاً على وجنتيه قبلة الحنان الصافي والحب العميق] وبذا تنتهي القصة .

وهذه فكرة نجدها في أحاديث رسول الله عندما قال الأقرع بن حابس في مجلسه : والله إن لدي عشرة أولاد ما قبلّت واحداً منهم ، فقال له الرسول الكريم: ماذا أصنع لك وقد نزعت من قلبك الرحمة .

فلا شك أن هذا هو هدي الإسلام وتعاليمه ، والقصة أفلحت بأن تدور في هذا المضمار لتزودنا بالنصيحة والعظِة ، وتقي المجتمع شرّ ما يمكن أن يقع فيه من يتصرف مثل تصرف الأب في هذه القصة .

وتأتي قصة (صقر من عسير) لتضع نهاية لقصص المجموعة في تحليلنا النقدي، هذه القصة مع سابقتيها كما سبقت الإشارة إلى ذلك تمثل حباً للمجتمع وتفاعلاً مع مختلف جوانبه ففي هذه القصة يختار اسم الشخصية

المحورية بعناية فائقة حيث هو (فلاح) بما لهذا من مدلول معنــوي فيــه الفــلاح والنجاح ، على الرغم ممّا يغطِّي المواهب الكامنة في شخصية البطل، ولا ينســى الكاتب أن يطبع عليه بعض الصفات في أول كلمات القصة : (ولد فلاح وولد معه حبه للتحليق في الأجواء الواسعة) إننا نجد طموحاً أصبحت من خلالــه الأجــواء الواسعة بكل ما تعنيه هذه الكلمة تفوق معنى الواقــع. إنــه وصــول إلى العالي، إنه اعتداد بالنفس ، إنه مستقبل أفضل إلى غير ذلك من الرؤى والأحــلام التــي يقصدها الكاتب وراء زخم تلك العبارة ويظهر ميله للجانب الذي يحلــم بــه منــذ صغره (وكان يلهو مع لداته من الفتيان لا يشاركهم فيما ابتدعوه مــن ألعــاب ، وإنما يشكل حجوماً مختلفة من الورق يحاول بعث الحركة فيها وتطييرهــا عــبر الأثير) .

إننا بصدد خيوط فنية ينسجها الكاتب بمهارة ليرسم لنا بهــا شــخصية (فلاح) ، والبيئة المحيطة بالبطل تأمل منه تحقيق أمل فيه (عندما ألحقــه والــده بالمدرسة راغباً في تعليمه القراءة والكتابة ليتخرج موظفــاً كتابيــاً فــي إحــدى المصالح) وهذه الفكرة الجزئية تؤدي أكثر من دور : أولها : مــا يتبــادر إلــى الذهن من أن بعض الناس يرى مظاهر يحكم عليها بخلاف مضمونها ، وهــو مــا اتضح من بعد ميول (فلاح) عن رغبة والده وما ترتب على ذلك (فقد أصيب الأب بخيبة أمل لأنه كثيراً ما كان يضبطه المدرس شارد الفكر، بعيــداً عــن دروســه ومدرسته) ويمسك الكاتب بخيط دفين وسط هذا النسيج يوصل إلى الفكرة الرئيسة (وعندما يكلفه بكتابة موضوع إنشائي مثلاً، يجد إجابته من بين زملائــه رســماً تخطيطياً لطائرة مبتكرة) ولكن هيهات أن يفطن أحد إلى الإمكانــــات الهائلــة داخل (فلاح) ، وبدلاً من التشجيع نجد أن مدرسه (لا يكتفي بتوبيخــه ووصفــه بأنه ولد خائب ، بل يرفع أمره لمدير المدرسة الذي يعاقبه ويبلــغ أمــره لوالــده

فيكــمل اللازم معه في البيت) وبذا نصل إلى نقطة ترتبت على الجملة التي حوت فكرة جزئية للقصة من هدف الأب إعداد ابنه ليكون موظفاً كتابياً ، وتــؤدي هــذه الفكرة إلى فشل فلاح في تحقيقها ، وضياع حلم الأب ، ونصل إلى منطقة الذروة، إلا أن المدقق مع الكاتب يجد الهدف من ملاحقة البطل بأسباب الفشل في الظـــاهر هو أن يوضح أن الأمور ليست بظاهرهــا فيما تظنه فشلاً ، فقد يكون ذلك ســـبب النجاح العظيم المشرف ، وما يبدو على أولادنا يجعلنا نتريّث في الحكم عليهـــم ، لأنهم ربما وصلــوا إلـــى ما يفــوق أحلامنـــا ، وأيضاً فإن المواهب مســـتترة ، وتحتاج منا أن ننميها في أولادنا ، ونكشف عنها ، حتى نضعهم علـــى الطريـــق الصحيح، وهذه هي المدلولات التي أشرت إليها منذ قليل وهـــي مســـتوحاة مـــن أسلوب الكاتب في قصته هذه .

وبمرور الأيـــام يهـــيء الله الأسباب لتظهــر موهبة (فلاح) الـــذي وهبه الله الذكاء (وذات يوم كان نقطة تحول من حياة فلاح جاء الفرج ، فقد أقبل على أهله ساعة الغداء يحمل في يده صحيفة يومية وهـــو يرقــص منتشـــياً) ويكون سبب فرحه دعوة من وزارة الدفاع والطيران للشباب لخدمة الوطـــن فـــي مجال (الطيران) وهنا يوضع البطل على الطريق الصحيح الذي يتوافق مع مواهبه وميوله. وعند هذه النقطة يسير الحدث في القصة بسرعة فائقة (والتحق فـــلاح بكلية الطيران ، واجتاز مرحلة الدراسة بتفوق ونجاح أدهشا أساتذته ومديريـــه) ونحن أمام معالم جديدة من حياة البطل ترى فيها ما ينـــاقض المـــاضي تمامـــاً ، وبهذه الصورة التي توافقت فيها ميول فلاح مع ما كلف به ، نجد نجاحاً ومهـــارة على أن ما كان في السابق ما هو إلا ستارة تحجب مواهب البطل ، وتعطـــي لنـــا فرصة كي نفكر كثيراً قبل أن نصدر أحكاماً ربما يجانبها الصواب ، وأيضاً ما قـــد يبدو من ظواهر سلبية على بعض الأبناء لا يجعلنا نهمل شأنهم ، فربما اســـتطاع

منهم بعض من نظنه خاملاً أن يحقق ما يفوق الخيال ، وهذه نظــرة كلهـا حــبّ وإيمان بأن الله هيأ من الأبناء قدرات تتضح وتعطي ثمرتها إذا مــا تهيـأت لهـا الأسباب ، وكانت النتيجة التي تعد لحظة التنوير وهي الختام المنطقي للقصــة: (ولم يمض وقت قصير حتى استطاع أن يحلق بطائرته عبر الفضاء .. وكــــان وهو يمســك بمقودها بدقة وبراعة يشعر بأنــه ولد من جديد) وبذا يــأخذ هـذا البطل مكانه المناسب في الدفاع عن الوطن الحبيب ، وتصبح نظرة الكاتب دعــوة حانية في صورة بسيطة هي أن إمكانات أبنائنا متعددة وكثيرة ، ويجب علينــا أن نتيح لهم الفرص كي تظهر في مجالها المناسب ، ولا يستهتر الآباء بما يبدو على أبنائهم من أمور قد تخفي ذكاءً متوقداً وطاقة معطاءة . وقد أفلــح الكــاتب فــي إظهار هذا الأمر من كل جوانبه، حتى جاءت الخاتمة في النهايـــة تحمـل لافتــة التنوير وهي منطقة يحسن عندها السكوت ، ولا يحتاج القارىء لمزيد من الإضافة والتعليق (وقد كان له ما أراد يوم قاد سرباً من الطائرات يصدّ به غــارة جويّــة شنّتها طائرات معادية على حدود وطنه الغالي ففتك بهــا ، وأســقطها كــالفراش المحترق ، وعاد الصقر محلقاً في سماء النصر والعزّة يهتف باسم وطنه) وهكذا يصبح حب البطل للتحليق في الأجواء الواسعة حقيقة ملموسة من عــالم الواقــع وليس مجرد خيال كما كان في صغره ، وقد أصبح الآن بطلاً مغواراً له شــأن أي شأن .

استراحة بيادر

في رياض الأدب

د .إبراهيم راشد

١ ـ من جوامع الدعاء :

روى مسلم في صحيحه ، وابن ماجة في سننه عن أبي مالك سـعد بـن طارق ، عن أبيه ، أنه سمع النبي أتاه رجل فقال : يا رسول الله ، كيف أقول حين أسأل ربِّي ؟ قـال : " قل : اللهم اغفر لي وارحمني وعَافني وارزقني " – وجمع أصابعَه الأربعَ إلاّ الإبهامَ – " فإنّ هؤلاءِ يَجْمَعْنَ لكَ دينَكَ ودُنْيَاكَ " .

٢ ـ غايات التأليف عند أسلافنا من العلماء :

في مقدمة كتابه النفيس " حساب الجبر والمقابلة " ، فصَّل الخُوارِزْمـي (أبو عبدالله ، محمد بن موسى الرياضي الفلكي المؤرخ ، المتوفى بعد ٢٣٢هـ) الغايات التي من أجلها يضع العلماء كتبهم ، فقال :

" ... ولم تزل العلماء في الأزمنة الخالية والأمم الماضية يكتبون الكتب ، مما يصنِّفون من صنوف العلم ووجوه الحكمة ؛ نظراً لمن بعدهم واحتساباً للأجـر بقدر الطاقة ، ورجاء أن يلحقهم من أجر ذلك وذخره ، ويبقى لهـم مـن لسـان الصدق ما يصغر في جنبه كثير مما كانوا يتكلفونه من المؤونة ، ويحملونه علـى

أنفسهم من المشقة في كشف أسرار العلم وغامضه : إما رجل سبق إلى ما لم يكن مستخرجاً قبله فورَّثه مَنْ بعده ، وإما رجل شرح مما أبقـــى الأولــون مـــا كـــان مستغلقا، فأوضح طريقه ، وسهّل مسلكه ، وقرّب مأخذه ، وإما رجل وجـــد فـــي بعض الكتب خللاً فلمّ شعثه ، وأقام أوده ، وأحسن الظنّ بصاحبه ، غيرَ رادٍّ عليه، ولا مفتخرٍ بذلك من فعل نفسه" .

٣ ـ وأدب الخلاف عند أسلافنا :

في ختام نصّ الخوارزمي السابق إشارة إلى ما كـــان لـــدى الســـلف ـــ رضوان الله عليهم أجمعين ـ من " أدب الخلاف والنِّقاشِ في المسائل العلمية " ، والذي يتمثل في الجمع بين الأدب والنصيحة بإظهار الحـــقّ ، كمـــا يتمثـــل فـــي الاعتراف بالحقّ والتواضع له، وفي شكر العلم وأهله .

وهاك نموذجاً يصوّر ذلك كلّه ، ذكره الشيخ عبدالفتاح أبو غدّة ـ رحمـــه الله ـ في رسالةٍ لطيفة له بعنوان : " نماذج من رسائل الأئمة الســـلف وأدبهـــم العلمي ..."، قال :

" .. لما وقف الحافظ الإمام عبدالغني بن سعيد الأزدي المصري [توفـــي سنة ٤٠٩هـ] على كتاب " المدخل إلى الصحيح " للإمام الحـــاكم أبـــي عبداللـــه النيسابوري [توفي سنة ٤٠٥هـ] ... واطلع على ما فيه من أغلاط وتصحيفاتٍ: نَبَّه عليها مع تصحيحها في جزءٍ وأرسله إلى الحاكم ، وجاء في مقدمة هذا الجزء من كلام عبدالغني الأزدي ما نصّه :

" ... أما بعد ، فإني نظرتُ في كتاب " المَدْخل " الذي صنّفه الحـــاكم أبـــو عبدالله النيسابوري ... فإذا فيه أغلاطٌ وتصحيفاتٌ أعظمْتُ أن تكون غابتْ عنه ،

وأكثرتُ جوازَها عليه ، وجوزْتُ أن يكون جرَى من ناقل الكتاب لـــه ، أو حاملـــه عنه، مع أنه لا يَعْرَى بَشَرٌ من السَّهْوِ والغَلَط . واستخَرْتُ الله تعالى، وجرَّدْتُ ذلك في هذه الأوراقِ وبيَّنْتُه وأوضحتُه، واستشهدتُ عليه بأقاويل العلماء ، مجتهداً في تصحيحه ، متوخِّياً إظهارَ الصوابِ فيه ، وبالله أستعينُ ، وإيـــاه أســـألُ الســـدادَ والتوفيقَ ، بمنِّه وكرمِه" .

..... فلمّا وصل هذا الجزءُ إلى الحاكم النيسابوري رحمه الله تعالى كـــان منه ما حكاه الحافظ عبدالغني نفسُه حيث قال :

" لمّا وصل كتابي الذي عَمِلتُه في أغلاط أبي عبداللـــه الحـــاكم ، أجـــابني بالشكر عليه ، وذكر أنّه أملاه على الناس ، وضَمَّنَ كتابَه إليّ الاعترافَ بالفائدة ، وبأنه لا يذكرها إلا عنّي " .

وقال الحافظ عبدالغني أيضا :

" لمّا رددتُ على أبي عبدالله الحاكم الأوهامَ التـــي فـــي " المدخـــل إلـــى الصحيح " ، بعث إليّ يشكرني ويدعو لي ، فعلمتُ أنه رجل عاقل " . انتهى .

٤ ــ من أقاصيص الكرم وأخبار الكرام :

روى القالي في أماليه عن أحمد بن عبيد بن ناصح ، قال :

كـــان أسيد بن عنقاءَ الفزاريّ من أكثر أهل زمانه ، وأشـــدهم عارضـــة ولساناً، فطالَ عمره ، ونَكَبَه دهره ، واختلَّتْ حالته ، فخرج عشيّة يتبقّل لأهلـــه ، فمرّ به عُمَيْلَة الفزاري فسلَّم عليه وقال : يا عمِّ ، ما أصارك إلـــى مـــا أرى مـــن حالك؟ فقال : بُخْلُ مثلك بماله ، وصَوْني وجهي عن مسألة الناس ؛ فقال : واللـــه لَئِنْ بَقيتُ إلى غدٍ لأُغيِّرَنَّ ما أرى من حالك ؛ فرجع ابن عنقاء إلى أهله فأخبرهـــا

بما قاله له عُمَيْلة ؛ فقالت له : لقد غرَّك كلامُ غلام جُنْحَ لَيْلٍ ، فكأنما ألقمتْ فـــاه حجراً فبات متململا بين رجاءٍ ويأس ، فلمـــا كان السحر سمع رُغاءَ الإبل ، وثُغاء الشاء ، وصهيل الخيل ، ولجَبَ الأموال ؛ فقال : ما هذا ؟ فقالوا : هذا عُمَيْلة ساق إليك ماله ؛ قال : فاستخرج ابنَ عنقاءَ ثم قَسَمَ ماله شَطْرَيْن وساهَمَه عليه ؛ فأنشأ ابن عنقاء يقول :

رآني على ما بي عُمَيْلَة فاشتكى … إلى ماله حالي أَسَرَّ كما جَهَــــرْ

دعاني فآساني ولو ضَنَّ لــم أَلُ … مْعلى حين لا بَدْوٌ يُرجَّى ولا حَضَرْ

فقلتُ له خيراً وأثنيـــــتُ فعلَــهُ … وأوفاك ما أبليتَ مَنْ ذمَّ أو شكرْ

ولمّا رأى المجدَ استُعيرَتْ ثيابُه … تردَّى رداءً سابغ الذيل وائتَزَرْ

غلامٌ رماه الله بـــالخير مقبــلا … له سيمياء لا تشقُ على البصر

كأنّ الثُّريّا عُلِّقتْ فوق نَحْـــــره … وفي أنفه الشِّعرى وفي خدّه القمر

إذا قيلت العوراءُ أغضى كأنــــه … ذليلٌ بلا ذُلّ ولو شاء لانتصـــر

٥ ــ إذا قيلت العوراء أغضى :

والعَوْراء ــ في آخر أبيات ابن عنقاء ــ إنما يقصد بها الكلمـــة القبيحـــة الزائغة عن الرُّشد .

قال ابن منظور في " لسان العرب " ــ مادة : عور ــ :

" والعوراء : الكلمة القبيحة أو الفَعْلَة القبيحة ، وهو من هذا [يقصد مـــن معنى العَوَر : ذهاب حسّ إحدى العينين] ؛ لأن الكلمة أو الفَعْلة كأنها تعُورُ العينَ فيمنعها ذلك من الطُّمُــوح وحدّة النظـــر ، ثم حوّلوها إلى الكلمة والفعلة علـــى المثل .... قال أبو الهيثم : يُقال للكلمة القبيحة : عَوْراء ، وللكلمة الحســـنة :

عيناء......... وقال الليث : العوراء : الكلمة التي تَهْوِي في غير عقل ولا رُشْد .
قال الجوهري : الكلمة العوراء : القبيحة ، وهي السقطة ؛ قال حاتم طيئ :

وأغْفِرُ عَوْراءَ الكريم ادِّخـــارَه   وأُعْرِضُ عن شتم اللئيم تكرُّما

أي : لادِّخاره . وفي حديث عائشة رضي الله عنها : " يتوضأ أحدكم مـــن الطعام الطيِّب ، ولا يتوضَّأ من العوراء يقولها " أي الكلمة القبيحة الزائغـــة عـــن الرشد .

قلت : وقد ورد في الشعر القديم - مـــراراً - التمـــدح بالإغضـــاء عـــن العوراء، والردِّ بالعيناء (سالمة العينين) أي بالكلمة الحسنة .

قال أبو الجارود الهذلي :

وعَوْراءَ جاءت من صديق يقولها   تصـــامَمْتُ عنها أو طويتُ لها كشـــحي
وإني ليلقاني الصديقُ كعهـــده   وأبذل مالي ثم أُفْرِشُهُ نصحـــي
وإن زلَّ لم أجهلْ ، وداويْتُ خُرْقَهُ   دواءَ الشموس بالتذلل والمسح

وقال حاتم الطائي :

وعوراءَ جاءتْ من أخ فَرَدَدْتُهـــا   بسالمة العينين ، طالبة عُـــذْرا
ولو أنني إذ قالها قُلْـــتُ مثلَهـــا   ولم أعفُ عنها أَوْرَثَتْ بيننا غمْرا
فأعرضْتُ عنه وانتظرتُ به غَداً   لعلَّ غداً يبدي لمنتظـــــر أمـــرا
وقلتُ له : عُدْ للأخـــوّة بيننـــا   ولم أتَّخذْ ما كان من جهله قَمْرا
لأَنْزِعَ ضبّاً كامناً فـــي فـؤاده   وأَقْلِمَ أظفاراً أطال بها الحَفْـــرا

[الغِمْر ــ بكسر الغين ــ : الحقد والغلّ ، والقَمْر ، مــن قَمَــرْتُ الرجــل أَقْمِرُه قَمْراً ، إذا لاعبته فغلبته ، والضبّ : الغيظ والحقد] .

٦ ــ في صفة الخِصْب والجَدْب :

" هذا الإنسان الذي يَضْرَع عند الشدة ، ويطغى عند الرخاء "

صورة نعرفها جيداً ، وسمة بشرية معهودة صوّرها القرآن الكريم في مثل قول الله عز وجل : { وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه ، وإذا مسّــه الشرُّ فذو دعاءٍ عريض } [فصلت /٥١] .

وقوله تعالى : { وإذا مسّ الإنسان الضّرُّ دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائمــاً ، فلمّا كشفنا عنه ضُرَّه مرَّ كأن لم يَدْعُنَا إلى ضُرٍّ مسَّه كذلك زُيِّن للمســرفين مــا كانوا يَعْمَلون } [يونس /١٢] .

وقال عزّ من قائل : { كلا إن الإنسان ليطغى ، أن رآه استغنى } [العلــق /٦، ٧] .

قال ابن عطية في تفسيرها :

" ... والطغيان : تجاوز الحدود الجميلة ، والغنى مُطْغٍ إلاّ من عصم الله ".

قلت : وقد صوّر شعرنا العربي القديم لوناً من هــذا الطغيــان ؛ إذ لحــظ شعراؤنا الأقدمون أن الناس إذا شبعوا هاجتْ أضغانُهم وطلبوا الطوائلَ والــتِّراتِ في أعدائهم ، حتى قال بعضهم :

يابْنَ هشام أهلك الناسَ اللَّبَــنْ فكلُّهم يســعى بقــوس وقَــرَنْ

يقول : لمّا كثر الخصب سعى بعضُهم إلى بعضٍ بالسلاح .

ومن بديع الصور التي رسمها الأقدمون لهذا الأمر ، هذه القطعة النفيسـة التي ذكرها الجاحظ في " الحيوان " ، وقدّم لها بقوله :

وقال بعض الأعراب يذكر الخِصْبَ والجَدْبَ :

مُطرْنَا ، فلمّا أنْ رَوينا تهادرتْ شَقَاشقُ فيهـا رائـبٌ وحليـبُ

ورابَتْ رجالاً من رجال ظُلامـةٌ وعُدّت ذحولٌ بينهـم وذنـوب

ونُصّتْ ركابٌ للصِّبا فـتروّحَتْ لهـن هـاج الحبيـبَ خبيـبُ

وطنَّ فناءُ الحـيِّ حتّـى كأنّـه رحى منهل من كرِهـنَّ نحيـب

بني عمِّنا، لاتعجلوا، يَنْضبْ الـثّرى قليلاً ويشفي المُـترفين طبيـب

فلو قد تولّى النّبْتُ وامتيرت القُـرى وحنّت ركابُ الحيِّ حين تثـوب

وصار غبوقَ الخَوْد وهي كريمةٌ على أهلها ، ذو جُدّتَيْن مَشُوبُ

وصار الذي في أنفه خُنْزُوَانَـةٌ يُنادَى إلى هادي الرَّحى فيجيب

أولئك أيـامٌ تبيـن مـا الفتـى أكاب سُـكَيْتٌ أم أشـمٌ نجيـب

* وألتقط من حواشي تحقيق " الحيوان " للعلاّمة الشيخ عبدالسلام هارون ـ رحمه الله ـ ما يضيء لنا هذا النصّ البديع :

ـ في البيت الثالث : قال ابن سيده : " أما قوله : ونُصّت ركاب للصِّبا ؛ فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال " ، والحبيب هنا بمعنـى المحِـبّ ، بكسر الحاء . وخبيب هي بالخاء المعجمة ، ومعناها : سـرعة الجـري .... يقول : لتلك الركابِ خبيبٌ بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

ـ في البيت الخامس : " ويشفي المترفين طبيـب " : عبـارة تهكميـة ، وعنـى بالطبيب هنا : الجدب وشدّة الزمان .

ــ في البيت السادس : تولَّى النبت : أخذ في الهيج ، وامتيرت القرى : جُلبَ مـــا فيها .

ــ في البيت السابع : الغَبوق بالفتح : ما يُشْرب بالعشـــي ، والخَـوْدُ : الشـابة الحسنة الخَلْق ، والجُدَّة بالضم : الخط ، وعنى بـ " ذو الجدتيـن " : اللبـن يظهر فيه لونان؛ وذلك حين يكون مشوباً ، أي مخلوطاً بالماء .

ــ في البيت الثامن : الخنزوانة : الكبر ، وهادي الرحى : مقبضها .

٧ ــ محرِّر صيني يردّ مقالاً :

تحت هذا العنوان كانت هذه القطعة الساخرة التي أنقلها ــ بتصرف يسير ــ عن عدد قديم من مجلة " المختار " (سبتمبر ١٩٤٦م) :

" يا أخا الشمس والقمر :

هذا خادمك جاثياً تحت قدميك ، وإنني لأخضع بين يديك ، وأتوسّل إليك أن تأذنَ لي أن أتكلّم وأظلّ حيّاً .

إن مقالكم المكرَّم قد تنازل فألقى عليّ سناه الجليلَ ، فتصفَّحتُه في نشـوة من الفرح . وأقسم .... أني لم أقرأ من قبل مثل هذه الآيات الزاخرة بالخاطرة السريعة ، والعاطفة النبيلة ، والفكر السامي .

وأنا أعيده إليك جزعاً ، فلو أنا نشرت هذه الذخيرة التي أتحفتنـي بهـا ، لأمر الامبراطور أن تُتَّخذَ مثلاً يُحتَذَى ، وأن لا يُنْشَرَ شيء إلا أن يكون فـي مثـل روعته وبلاغته .

أما وأنا أعرف الأدب حقّ المعرفة ، وأعرف أن الإتيان بمثل مقـــالك لـــن يتاح قبل عشرة آلاف سنة ؛ فإني لأعيده إليك مع خدمٍ يتولون حراسته .

وإني لأستميحك عذراً عشرة آلاف مرة .

انظر ، هذا رأسي تحت قدميك ، وما أنا إلا حفنة من تراب " .

خادم خادمك

وانج شن ــ المحرر

٨ ــ عن الحكمة :

نقل الشهاب الخفاجي في كتابه " ريحانة الألبّا" ما ذكر ابن سينا في بعض كتبه حين قال :

" إن الحكمة لتنزلُ من السماء فلا تدخلُ قلباً فيه همٌّ الغَدِ . "

وعلق الشهاب بقوله : إنه لم يُسْنِدْه ، وهو بكلام النبوة أشبه .

٩ ــ عرفت طريقي للنجاح :

تحت هذا العنوان ، كتب الأستاذ عباس محمود العقاد يقول :

" أول أسباب النجاح : الرغبة الصادقة في النجاح ؛ فإنني لا أخـــال أحـــداً ينجح في عملٍ لا يرغب في نجاحه فيه .

ويلي هذا السبب الأول: أن يُعْنَى العامل بعمله لذاتـــه ، لا للنتيجـــة التـــي يترقبها سواء كانت ربحاً من المادة ، أو شهرة على الألســـنة ، أو وجاهـــة فـــي

المجتمع أو التاريخ . وأقرر هذه الفكرة تقريراً آخر حين أقول : إن الــذي خلــق للأدب لا يتحول عنه إلى منهج آخر من مناهج العمل ؛ لأن هذا المنهــج يعطيــه الربح والشهرة والوجاهة حيث يفقدها أو يتعذر عليه بلوغها في منهج الأدب .

ولعلي لا أخطئ التشبيه إذا قلت : إن مثل الأديب في هذا كمثل الأب الــذي يُعْرَض عليه أن يختار ولداً غير ولده يطيعه ويسرّه بالفلاح والتقدم حيــث يخيــب ولده ويعصيه ، فإنه لن يقبل هذا العرض مع يقينه برجحان الولد الناجح المطيــع من غير ذريته على ولده المخفِق المصرّ على العصيان .

وسبب لا يقل عن الرغبة الصادقة والعمل للعمل لا للنتيجة المترقبة منه ــ وهو الثقة بالنفس ، والاستخفاف بالعقبات ، وبإنكار المنكرين عن جهل أو حســد أو تباين في الرأي والخليقة " .

١٠ ــ عود إلى الشعر :

أ ــ من حَسَن التمثّل بالشعر :

روى أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في " مجالسه " ، عن عمر بن شبة قال : حدثنا ابن عائشة قال : سمعت أصحابنا يذكرون أن أبا بكر ــ رضــي اللــه عنه ــ لمّا تشاغل بأهل الرِّدَّة استبطأته الأنصار فكلّموه ، فقال :

أمّا إذ كلّفتموني أخلاق رسول الله فوالله ما ذاك عندي ولا عنــد أحــد ، ولكن ــ والله ــ ما أُوتى من مودّةٍ لكم ، ولا حُسْنِ رأيٍ فيكم ؛ وكيف لا نحبُّكــم، فوالله ما وجدتُ لنا ولكم إلا ما قال طفيلٌ الغنويُّ لبني جعفر :

جزى الله عنّا جعفراً حين أشرفَتْ ... بنا نعلُنا في الواطئيــن فَزَلَّــت

تلاقي الذي يلْقَوْنَ منّـــا لَمَلَّـت أَبَوْا أن يملُّونا ، ولو أنّ أمَّنـــا
فذو المال موفورٌ وكلُّ معصّـــب إلى حَجَــرات أدْفــأتْ وأظلَّــت

[المعصِّب : الذي يتعصَّب بالخرق جوعاً ، وحَجْرَة القوم بالفتح: ناحيـــة دراهم ..]

ب ــ مثل آخر في التمثل بالشعر :

قال أبو حيّان التوحيدي في " البصائر والذخائر " :

كان القاضي أبو حامد إذا رأى تراجع المتكلميـــن فـــي مســـائلهم ، ورأى ثباتهم على مذاهبهم بعد طول جدلهم ينشد :

ومَهْمَـــــه دليلُـــــهُ مُطَـــــوَّحُ
يـــدأبُ فيـــه القـــومُ حتـــى يَطْلَحـــوا
ثـــم يظلّـــونَ كـــأن لـــم يـــبرحوا
كأنمـــا أَمْسَـــوْا بحيـــث أصبحـــوا

جــ ــ حوار معتاد بين زوجين :

قال أبو خراش الهذلي :

تقول : ولولا أنـــت أُنكحْـــتُ ســيِّداً أُزفُّ إليه ، أو حُملْــتُ علــى قَــرْم
لعمري ! لقد مُلِّكْـــت أمْــرَك حقبــةً زماناً ، فهلاَّ مسْت في العَقْم والرَّقْم

[العَقْم : ضرب من الوشي، والرقْم : خزّ مُوَشّى ، والقَرم مــن الرجــال : السيّد المعظّم .]

د ـ الطائيّان ومعنى الصداقة :

قال أبو تمام :

ذو الودّ منّي وذو القربى بمنزلــة وإخوتي أســوة عنــدي وإخوانــي
عصابــة جــاورت آدابهــم أدبــي فهم - وإن فرّقوا في الأرض - جيراني
أرواحنا في مكــان واحــد وغــدت أجســامنا بشـــآم أو خراســان

وقال البحتري :

اللــهُ جــارُك فــي انطلاقــكْ تلْقَــاءَ شــامكَ أو عراقــكْ
لا تعذُلَنّي فــــي مسيــ ــركَ يوم ســرْتَ ولــم أُلاقــكْ
إنّــي خشــيتُ مواقفــاً للبيــن تَسْــفَحُ غَــرْبَ مَــاقكْ
وعلمــتُ مــا يلقــى المُتَيّــ ــم عنــد ضمّــك واعتنــاقك
وعلمـــتُ أن لقاءنــا ســبب اشــتياقي واشــتياقك
فـــتركْتُ ذاك تعمّــداً وخرجتُ أهــرُبُ مــن فراقــك

١١ ـ قبل الختام :

قال أعرابي :

الهمُّ مــا لــم تُمْضــه لســبيله داءٌ تضمّنُــه الضلــوعُ عظيــمُ

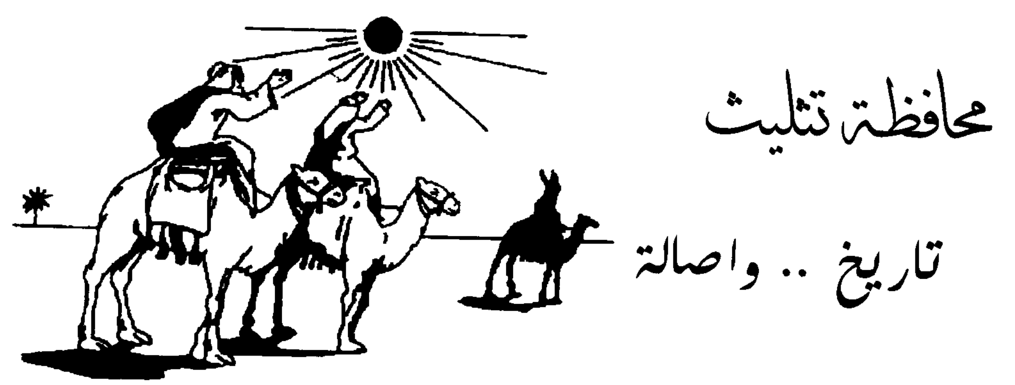
ولربما استيأسْتُ ثم أقـــول : لا   إن الذي ضمن النجـــاحَ كريـــمُ

١٢ ـ الدعاء بالعفو والعافية :

روى ابن ماجة في سننه ، والترمذي ـ وحسَّنه ـ عن أنس بـــن مـــالك رضي الله عنه ، قال :

أتى النبيَّ رجلٌ ، فقـــال : يا رســـول الله ، أيُّ الدعاءِ أفْضَـــلُ ؟ قـــال : " سلْ ربَّك العفو والعافية ، في الدنيا والآخرة " ، ثم أتاه في اليوم الثاني، فقال : يا رسول الله، أيّ الدعاء أفضل ؟ قال : " سَلْ ربّك العفـــو والعافيـــة ، فـــي الدنيـــا والآخرة " ، ثم أتاه في اليوم الثالث ، فقال : يا نبيَّ الله ، أيّ الدعاء أفضل ؟ قال: " سلْ ربك العفوَ والعافية في الدنيا والآخرة ، فإذا أُعْطِيتَ العفوَ والعافيةَ في الدنيا والآخرة ، فقد أفلحْتَ " .

استطلاعات



محافظة تثليث

تاريخ .. واصالة

تعد محافظة تثليث من أهم المحافظات الرئيسية التي تقع على ضفتي وادي تثليث العملاق .. ولعل أول مايلفت نظر الزائر لها للمرة الأولى .. هو هذا الهدوء والسكينة اللذان يلفان المدينة برداء من الوقار والأصالة والتراث .. ثم هذه المزارع الخضراء المنتشرة في وسط المدينة وأشجار النخيل الكثيفة.. وتلك المجموعات الكبيرة من الإبل ذات الألوان الداكنة ..ومع كلّ هذا إصرار من ابن هذه المدينة على التحرّك في الجهات الأربع لملاحقة ركب البناء والحضارة .. في إطار من الحرص الشديد على الأصالة والموروث العريق ... بدءاً من اللهجة والذكريات .. ومروراً بالعادات والتقاليد.. وعبوراً إلى الممتلكات الحيويّة بكل صورها ..

ومحافظة تثليث تتبع إدارياً منطقة عسير وتمتد عبر بلاد قحطان الشرق بحوالي أربعمائة كيلو متر .. حيث تعتبر مساحتها حوالي أربعين إلى خمسين ألف كيلو متر مربع، تميزها السهول الفسيحة والأودية العملاقة التي رسمت تضاريسها بسيولها العارمة القادمة من قمم جبال السروات محملة بالطمى الذي ساعد منذ آلاف السنين على تكوين تربة تثليث الخصبة البكر الصالحة للزراعة والرعي .

ومحافظة تثليث تقع في الجهة الشمالية الشرقية من منطقة عسير فيما بين خط العرض (٣٢ ــ ١٩) شمالاً وخط الطول (٣١ ــ ٤٣) شرقاً على وادي تثليث وتبعد عن مدينة أبها شرقاً بحوالي (٢٤٥) كيلومتراً تقريباً . ومحافظة تثليث جغرافياً ــ كما محافظ تثليث بالنيابة الأستاذ : ثامر بن شارع البقمي ــ يحدها من الشرق منطقة نجران ومن الجهة الشمالية المنطقة الوسطى ومن الجهة الجنوبية محافظة خميس مشيط والأمواه والعين ومن الجهة الغربية محافظة بيشة ومنطقة مكة المكرمة ، وتقدر المساحة الإجمالية لمحافظة تثليث بحوالي (٣٥٠ × ٤٠٠) كيلومتر .

تشير بعض الاحصائيات بإمارة منطقة عسير إلى أن تاريخ تأسيس الإمارة في تثليث من أقدم الإمارات حيث تشير بعض الوثائق إلى أنها أسست في عام ١٣٤٦ هـ تقريباً ، حيث ترتبط بإمارة تثليث وحيث يتبعها ثمانية مراكز هي :

الأمواه والصبيخة والحمضة وعين قحطان والقيرة وحبية والزرق وأبرق النعام.. بالإضافة إلى مراكز أخرى مدرج فتحها وهي : مركز جاش وكحلان وربة وخيور والفرع .

تثليث والتاريخ

تردد اسم تثليث وجاش في عدد من المصادر التاريخية والجغرافية القديمة كصفة جزيرة العرب والإكليل وقصيدة الدامغة وكل هذه الكتب من تأليف المؤرخ اليمني (الهمداني) كما ورد اسما هذين البلدين في كتب أخرى مثل (معجم ماستعجم لأبي عبيد البكري) (ومعجم البلدان لياقوت الحموي) . ففي كتاب صفة جزيرة العرب ورد اسم (تثليث) إحدى عشرة مرة واسم (جاش) تسع مرات واسم (الهجيرة) التي تعرف الآن (بالجعيفرة) خمس مرات وجاء في بعض المصادر أن الصحابي الجليل والفارس المشهور (عمرو بن معدي كرب الزبيدي) كان يسكن تثليث وكان له حصن ونخل في وادي جاش و (عمرو) هذا هو فارس العرب وصاحب أشهر سيف في التاريخ المعروف (بالصمصامة) توارثه الخلفاء واحداً بعد الآخر ، وهو أيضاً زعيم قبيلة زبيد وحمل لواء قبيلته في معركة تثليث التي وقعت بينها وبين قبيلة سليم بزعامة (عباس بن مرداس) وقال بهذه المناسبة :

أعباس لوكانت شيار جيادنا
بتثليث ماناصيت بعدي الأحامسا
ولكنها قيْدت بصعدة مرة
فأصبحت لا يمشين إلا تكاوسا

وهو شاعر يميل إلى الهجاء والفخر بنفسه وقبيلته ، والمتتبع لشعره يدرك أنه سكن هذه المنطقة ردحاً مِن الزمن لورود كثير من أسماء المواضع في شعره المتناثر في كثير من كتب التراث .

ورغم أن الهمداني خير من كتب عن هذه المنطقة قديماً وحديثاً فإنه لم يحدد موقع (تثليث) البلدة في ذلك الوقت اللهم إلا من خلال وصفه لمحجة (حضرموت)، حيث قال :

(مريع فعبالم فالهجيرة فتثليث فجاش فمصاقة بني عامر .. إلخ) وهذه المواضع معروفة الآن تقع على نسق واحد في الاتجاه من نجران إلى (بيشة) ماعدا تثليث المعروف الآن .. ولذلك يظهر من هذا الوصف أن تثليث المدينة أو القرية في ذلك الوقت كانت تقع جنوب تثليث الحالية بحوالي (٢٥) كم قرب منهل (برودان) وهو منهل معروف منذ القدم .

جرى منه جاش فالربوض فما رأى
هُويل فارعيل فالبردان

وهذه المواضع معروفة الآن باقية على أسمائه القديمة .

سبب التسمية :

سميت تثليث بهذا الاسم كما يذكر الأستاذ : عمر العمـــروي فـــي كتابـــه تثليث؛ لأنها نقطة التقاء لثلاث طرق هي : نجران ونجد والحجاز، وقيـــل مثلـــث لثلاثة أودية هي: بيشة وتثليث والدواسر .

تثليث والشعر :

يبدو أن اسم تثليث قديم وذلك لظهوره في عـــدد مـــن قصـــائد شـــعراء المعلقات، كما ترى في قول طرفة بن العبد :

بتثليث أو نجـــران أو حيـــث تلتقـــي
من النجـــد في قيعان جاشي مســـائله

ويقول الأعشى :

كخذول ترعى النواصف مـــــن تثـــــ
ـــليـــث قفـــرا خلالـــها الأســـــلاق

ولأن تثليث نقطة تحول القبائل من جنوب الجزيرة العربية إلى نجد فإنـــها تحتضن معظم جذور قبيلة قحطان .

السكان

* ويقدر عدد سكان تثليث بجميع حدودها التي تصل بين أربعين إلى خمسين ألف متر مربع بما يزيد على مائة وثلاثين ألف نسمة طبقاً لما تشير إليه بعض الإحصائيات.. معظمهم من الفلاّحين وجزء كبير منهم مازالوا يشتغلون بالرعي .. وفي السنوات الأخيرة تحول الكثير منهم إلى مزاولة التجارة .

السهول الفسيحة

وتتميز تثليث بسهولها الفسيحة وأوديتها العملاقة التي تخترق تلك السهول وعادة ماتكون قادمة من قمم جبال السروات حاملة معها الطمي الذي يزيد من خصوبة التربة.. وتتميز أيضاً بأنها تجمع بين المناخ الجبلي البارد والمناخ الصحراوي .. وقد أدت كل هذه العوامل إلى جعل المنطقة صالحة للزراعة .. فمعظم أنواع المزروعات تنمو في هذه المنطقة نمواً جيداً .. ومن أنواعها شتى أنواع الخضروات والفواكه ..خصوصاً الموالح والأعناب بالإضافة إلى أشجار النخيل التي تقدر بحوالي مليون نخلة إذ تأتي في الدرجة الثانية بعد (بيشة) من حيث عدد النخيل بالمنطقة الجنوبية .

* محافظ تثليث بالنيابة يتحدث لنا فيقول :

هناك خدمات موجودة وهي (شرطة ومحكمة وبلدية وفرع للزراعة والمياه وكتابة عدل ومستشفى يتسع لمائة سرير وستة مراكز صحية وشعبة للمرور ودفاع مدني وسجون ووحدة كهرباء وفرع للأمر المعروف والنهي عن المنكر وإدارة أحوال مدنية ومكتب للضمان الاجتماعي ومكتب للاتصالات به مقسم

للهاتف و ٧٦ مدرسة بمختلف المراحل للبنين و ١٨ مدرسة ابتدائية للبنات وأربع مدارس للمراحل المتوسطة للبنات ومعهدان للمعلمات ويتراوح عدد الطالبات ما بين ١٦٠٠ الى ١٨٠٠ طالبة تقريباً.. وكل هذه الهيئات تؤدي خدماتها على ضوء مالديها من إمكانيات)

ويستطرد محافظ تثليث فيقول :

لقد ربطت الطرق محافظة تثليث بخط عام بخميس مشيط ومحافظة وادي الدواسر، وهذا الطريق يربط الوسطى بالمنطقة الجنوبية مما زاد في النهضة والتطور ، كما تم ربط الأحياء بطرق مسفلتة وقامت البلدية بإنارة بعضٍ من الشوارع وتشجيرها وعملت المداخل الرئيسية للطرق بالأضافة الى عمل دوران محافظة تثليث والنافورات اللائقة الجميلة التي أظهرت المحافظة بالمظهر الحسن والجمال .

وعن المشاريع المدروسة في الخطة المستقبلية ، أوضح محافظ تثليث الأستاذ : ثامر البقمي بأن هناك مشاريع وهي :

رصف طريق تثليث ببيشة والذي يبلغ طوله ١١٠ كم ، وإيجاد إدارة تعليم للبنين، ومكتب للجوازات ، وفرع للهلال الأحمر ، وجمعية خيرية ، وناد رياضي، ومكتب للعمل والعمال ، ومركز لأمن الطرق وفرقة للمواصلات .

تثليث ذات المليون نخلة

نشطت الزراعة في السنوات الأخيرة نشاطاً ملحوظاً بعد أن كان الاهتمام منحصراً في زراعة النخيل فقط .. ويتم حالياً زراعة الكثير من المحاصيل الزراعية .. ولعل الدليل على تطور الزراعة في هذه المنطقة أن أحد المزارعين

ببلدة الحمضة قد نال جائزة المزارع المثالي بمنطقة عسير خلال عـــام ١٤٠٤ / ١٤٠٥ هـــ.. وتشهد تثليث زراعة النخيل في الدرجة الأولى وتعد ثاني محافظـــة في منطقة عسير بعد بيشة من حيث إنتاج التمور.

وقد تحدث الأستاذ : حمدان بن علي البيشي فقال :

بلغ عدد النخيل في تثليث مليوناً ومائتي ألف نخلة من ذوات الثمار الجيدة مثل (الصفري والسري والقسب) كما تشتهر بزراعة وإنتاج المحاصيل الزراعية، وتهتم بتربية الإبل والخيول والأغنام .. وفرع الزراعة بتثليث يقدم خدماتـــه الـــى ٨٣ قرية وهجرة .

وعن قسم المياه بالزراعة يتحدث مدير الفرع فيقول :

إن قسم المياه يقوم بتقديم طلبات المواطنين من إعطـــــاء رخـــص حفــر وتعميق الآبار والإشراف المباشر في التنفيذ وعمل الدراســـات اللازمـــة لطلبـــات تأمين المياه الصالحة للشرب والإشراف على السقي لبعض القرى والهجر .

ويتحدث رئيس بلدية تثليث الأستاذ : أحمد مهدي الخريص فيقول :

منذ افتتاح بلدية تثليث سنة ١٣٩٨هـــ وهي تعمل منذ افتتاحها في تنظيـم المدينة والقرى من نظافة وسفلتة وشق الطرق وتوزيع الاراضي وتسوير المقابر وزراعة الحدائق.. ففي مجال الأراضي تم اعتماد عشرة مخططات ســـكنية حيـــث بلغت عدد القطع السكنية (٤٢٩٤) قطعة تم توزيعها .. وقامت البلدية بسفلتة أكثر من (٢٩٨,٠٠٠) متر طولي وتركيب (٧٠٠ عمـــــود إنـــارة) تقـــدر تكـــاليف المشاريع بقيمة إجمالية وقدرها (٥١,٢٢٩,٤٩٤) ريال .

النشاط الرعوي

ونتيجة لموقع تثليث المتميز بين ملتقـــى الأوديـــة وهطـــول الأمطـــار الموسمية عليها تنبت معظم المراعي البرية والأشعاع حيث يلف الـــوادي بســـاط

أخضر .. ويتحول إلى منطقة رعوية من الدرجة الأولى تضم الكثير من المواشي.. وفي مقدمتها الإبل والأغنام والماعز والضأن ؛ لذلك فهي مصدر هام من مصـــادر الثروة الحيوانية .

يقوم الرعي في تثليث قحطان الشرق منذ أزمنة بعيدة أساساً على القطـاع التقليدي للإنتاج الحيواني من خـــلال النمط السائد في المنطقة منذ القدم وهـــو (نمط الإنتاج المرتحل) أي الرعاة الرحل والذي تحول في الآونة الأخيرة (نتيجـــة للتطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شمل أنحاء البلاد) فاقترب هذا النمط للإنتاج المرتحل إلى نمط (متبادل الارتحال) أي الرعاة شبه المستقرين .

يقوم هؤلاء الرعاة بالانتقال بحيواناتهم إلى الأمـــاكن التـــي تكفـل لتلـك الحيوانات الرعي والسقيا .. وكان معظم سكان تثليث إلى ماقبل ثلاثين عاماً تقريباً يشتغلون بمهنة الرعي ، فهم يعشقون الصحراء عشقاً .. ويعتزون بمهنة الرعـــي اعتزازاً ....

وعلى مقربة من إحدى بيوت الشعر وقبل الوصول إليه سمعنا راعياً يقـال له معيض القحطاني بعد أن أفصح عن اسمه قائلاً :

ووجدي على بيت الشعر عقب بيت الطيـــن
ووجدي على شـــــوف المجـــاهيم منـــثرة

ومن الأمثال الرعوية :

أثرت البيئة الرعوية في حياة العرب تأثيراً ملحوظاً ويتضح ذلك جلياً فـــي الأمثال، التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني ، نطق بها علـــى كـل لسان وفي كل زمان ومكان ، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شيء مسيرها ولاعم عمومها حتى قيل (أسير من مثل) ومن الأمثلة التي نبعـت من البيئة الرعوية :

[مثقل استعان بذقنه] .. وأصله البعير يحمل عليه الحمل الثقيل فلايقدر على النهوض به فيعتمد على الأرض بذقنه . ويضرب هذا المثل في الذليل الذي يستعين بأذل منه .

وعن الحقد الشديد لدي بعض الناس يقال :

[أحقد من جمل] .

وعن الصبر يضرب هذا المثل :

[أصبر من عود] .. والعود هو المسن من الجمال .

وعن الذل بعد العز يقال :

[كان جماد فاستنوق] .

وعند ارتكاب خطأ في عمل أو الجهل به يضرب هذا المثل :

[ما هكذا تورد الإبل]

وعن انتحال العلم بغير آلته :

[كالحادي وليس له بعير] .

وعن الرجل الذي يأخذ حقه قسراً قولهم :

[يركب الصعب من لا ذلول له]

والصعب هو القعود الذي لم يدرب بعد للركوب ، أما الذلول فهي المطية المدربة والمعدة للركوب .

* * *

الأنشطة الحرفية

ومن أهم الأنشطة الحرفية الصناعية الغزل والنسيج وصناعة ودباغة الجلود ..

وهذا النشاط تقوم به النساء فقط حيث تتولى صناعة بيت الشعر والمفارش الصوفية كالساحة المزركشة (عبارة عن مفرش يشبه الحنبل) والمزاود والخروج وحجاب البيت وأشياء أخرى .

وفي جولتنا لتثليث في البر وأمام تلك الخيمة السوداء قابلنا امراة في عمر السبعينات تقول : اسمي (هيلة) .. وتتحدث لنا عن المجتمع البدوي والكرم العربي وتقليط الضيف ، وتقوم بأداء الواجب والمواجيب .. وتقول : نحن القدامى لازلنا نحتفظ بالحرف التي نقوم بها من (الغزل والصناعات الضرورية لنا) .

أما الجلود فتقوم النساء بدباغتها وتصنيعها بأصناف عديدة كالعياب والختول والقطف وقرب الماء والدلاء جمع (دلو) وأوعية السمن البري . أما الرجال فكانوا يصنعون البارود من ثلاث مواد محلية هي عيدان (العشر) ونوع من أنواع الملح .. والكبريت .. بالإضافة إلى تحضير مادة القطران لعلاج الإبل المصابة بالجرب .

كما نجد أن المرأة في السابق كانت عضواً فعالاً تقع عليها مسؤولية صناعة البيت ومعظم أثاثه بالإضافة إلى دورها الرئيس ربَّةَ بيت ومربية أطفال .. إلا أن هذا النشاط قد انقرض أو كاد بسبب تطور الحياة الحديثة واعتماد الناس على المنتجات العصرية الجديدة .

اما الصناعات الأخرى كالحدادة مثلاً .. فكان لكل قبيلة صـــانع معـروف يتولى صناعة مستلزماتها من الأدوات الجديدة البسيطة كحذاء الخيل والســكاكين والمخايط والأخلة جمع (خلال) والفؤوس .

وعادة مايكون ملازماً للقبيلة وكأنه واحد منها غير أنه يبقى على أصلـه في أسر اختارت هذه المهنة من أجل الكسب والاعتماد عليها كمصدر من مصـادر الرزق الحلال.

وحوض وادي تثليث ممتلىء بالآثار القديمة التي لايعرف لها تاريخ محدد فقل أن ترى مكاناً لا تلحظ فيه آثاراً تدل على وجود أقوام سكنوا هذا المكان ومـن أهم الأماكن الأثرية آثار متعددة في أماكن كثيرة قرب وادي جاش ، أمـا قريـة (الهجيرة) التي تقع على بعد أربعة كيلومترات جنوب بلدة (الحمضة) فتعد مـن أهم الأماكن الأثرية بالمنطقة حيث تشاهد الكثير من الآثـار المتنوعـة كـالقلاع والأسوار والمقابر الجماعية وبقايا سواقي المياه المتجهة من الجبال المجاورة إلى المزارع وأشياء أخرى لايتسع المجال لحصرها .

كما يوجد بالمنطقة حوالي سبعة مواقع للآثار تستخرج منها معـادن فـي الجاهلية وتسمى (مصانع) مفردها مصنعة ولعل من أهمها مصنعـة الشـقيب التي استحوذت على اهتمام المسؤولين في الثروة المعدنية ..

وثائق تاريخية

يقول أحد شيوخ تثليث الشيخ ذيب بن معيض : إن الناس هنا في تثليـث يعشقون التراث الذي يجسد الماضي بكل مافيه من معاني البطولة والكفـاح فـإن بيوت تثليث لايخلو معظمها من المقتنيات القديمـة سـواء البنـادق القديمـة أو

السيوف أو معدات منزلية وأهم من ذلك الوثائق التاريخية التي تحمل بين طياتها رائحة التاريخ كهذه الوثيقة التي يرجع تاريخها إلى عام ١٣٥٢هـ من جلالة الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ـ يرحمه الله ـ وهذا نصها :

(من عبدالعزيز عبدالرحمن آل فيصل إلى من يراه من طوارف المسلمين وأمرائهم السلام وبعد إذا حصل على ابن عبود أو جماعته أمر فيه خطأ أو ضرر وجاكم من طرفه فأنتم إن شاء الله تساعدونه فيه على ما تقتضيه الشريعة لأن الشرع مقدم على جميع الأمور يكون ذلك معلوم ٢٨ محرم ١٣٥٢هـ) انتهى نص الوثيقة.

الوثيقة الأخرى تقول :

(من عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل فيصل إلى جناب المكرم ذيب بن معيض وكافة آل عبود السلام عليكم ورحمة الله وبركاته الخط المكرم وصل وما عرَّفْتم كان معلوم مخصوصا من قبل عادتكم من الشرهة والكسوة فهي تصلكم مع عسل بن محمد إن شاء الله هذا مالزم تعريفه والسلام ٢٣ رمضان ١٣٥٩هـ) انتهى نص الوثيقة .

وإن كانت الوثائق ذات أهمية بالنسبة لشيوخ تثليث ، فمن العجيب احتفاظهم بمقتنيات كثيرة من التراث القديم يصل تاريخها إلى أكثر من قرنين ، فهناك (رحى) خزانة خشبية مطعمة بالحديد ونجر يصل وزنه الى ٨ كيلوجوام يتوارثه شيوخ تثليث عن خامس جد .

عادات وتقاليد

الوجه من العادات والتقاليد القبلية القديمة التي مازال أهالي تثليث يتمسكون بها حتى الآن ، والوجه معروف لدى الجميع بأنه إذا ما لجأ شخص ما

إلى قبيلة بطلب الوجه (أي حمايته من أي عدوان عليه) نتيجة إشكال قام بـه ، فإن على هذه القبيلة أن تقوم بحمايته ويتم الإعلان عن ذلك لدى جميع القبائل بأن فلانا في وجه قبيلة كذا .. وفي هذه الحالة لايجرؤ أحد من خصومه على الاعتداء عليه وإلا يعد هذا عدوانا على القبيلة التي في وجهها .

والوجه له مدة محددة فضربة العصا مثلا لها (٣ شهور) ، أما الضربة (الدامية) فمدة الوجه لها (٧ شهور) وأما القتل فمدة الوجه له (١٢شهرا) .

وفي هذه الحالة يقال إن فلانا في وجه قبيلة كذا .. وعلى كبار أفراد هذه القبيلة أن يسعوا لحل الإشكال بطريقة ودية . وإذا انتهت مدة الوجه فعلى الشخص أن ينتقل إلى وجه قبيلة أخرى . ومما يوضح مدى احترام القبائل لهذه العادات والتقاليد أن شخصا ما ظل في حماية الوجه لمدة ١٢ عاما كان خلالها ينتقل من وجه قبيلة إلى قبيلة أخرى إلى أن تم حسم الإشكال .

الطلبه .. والطلبة كلمة مشتقة جاءت من الطلب ، أي أن يطلب شخص ما من شخص آخر طلبا عزيزا عليه لكن بالإمكان تحقيقه ، وحتى يضمن الطالب تحقيق طلبه الغالي فإنه يرمي (غترته) على من يطلب منه (باعتبار أن الغترة هي كرامة الإنسان) فكأن من يرمي غترته على شخص ما يقول له :

إنني أتنازل فحقق لي طلبي ، وهذا طبعا لايحدث إلا نادرا فلا يرمي الرجل غترته إلا في شأن كبير ، وعلى المطلوب منه أن يطيع ويحقق رغبة من رمى غترته ، ورغم أننا في نهاية القرن العشرين فإن أهالي تثليث لازالوا يحتفظون بهذه العادات الجيدة .

وادي تثليث

هذا الوادي طوله أربعمائة وخمسون كيلو مترا تقريبا وعرضه يتراوح من ٨٠٠ إلى١٥٠ متر في مواقع مختلفة إلا أن هناك نقطة فيه تسمى (عجمة

لهو) أو مضيق لهو تقع شمال قرية اللصحيرة التاريخية القديمة بما لايزيد عن خمسة كيلومترات ، وسعة هذا المضيق أقل من ثلاثين مترا وشمال هذا المضيق الشديد الضيق والانحدار وكذلك جنوبه توجد أراض واسعة في غاية الخصوبة .

وتثليث هذا من الأودية الشجيرة حيث قال عنه الجغرافيون القدامى إنه واد شجير ، ولازال هذا الوادي يشتهر بأشجاره البرية الكثيفة وفي مقدمتها شجر السمر وهو من الكثرة بمكان بالإضافة إلى أشجار الأراك والسدر والعشر وأشجار أخرى عديدة .

الروافد :

يرفد تثليث عدد كثير من الأودية منها الكبير والصغير والمتوسط ولكن هناك ثلاثة أودية فحلة ترفد تثليث من الغرب هي :

وادي الثغن : الذي أعلاه لشهران حيث توجد عدد من القرى مثل المسيرق وخيبر الجنوب ورغوة ووسطه وأسفله لقحطان وهو واد مشهور من حيث خصوبة المراعي ووفرة المياه وشمال غرب منه توجد دارة عظيمة تسمى المصامة وورد اسمها في وصف محجز حضرموت بمصابة بني عامر وهي عبارة عن سهل فسيح من أجود مراتع الإبل .

وادي جاش : وادي طريب .. هذا الوادي من أكبر روافد تثليث وأسفله من مصبه في تثليث إلى قرية كتنة يعرف بوادي جاش وفيه مالايقل عن عشر قرى وسكانه قبيلة المساردة ـ عبيدة وأعلاه البلد المعروف (طريب) وفي الوسط بلدان كثيرة من أهمها المضة والصبيحة ؟؟ والفضاه ؟؟ ويغلب على اسم

الوادي قديما (طريب) والذي كان قفرا لقبيلة طي القحطانية التي هاجرت فـي العصر الجاهلي منه إلى الجبلين أجأ وسلمى في شمال المملكة في منطقة حـائل حاليا .

وادي الرسين : ويعرف قديما بالأرسان في أعلاه بعد (عجمـة مغـرة) عدد من البلدان منها عرقة ، العرين ، خبت آل سلمان ومعظم سكان هذا الوادي من الحرقان عبيدة أما من العجمة إلى مصبه في تثليث فلازال رعويا حيث توجـد بعض المناهل فقط ويسكن هذا القسم عدد من قبائل قحطان أصحاب (الأوبـاش) الغنم والإبل .. وهذه الأودية الثلاثة ترفد تثليث من الناحية الغربية على مسـافات متساوية تقريبا لايفصل بين مفيض كل واد والآخر أكثر من عشرة كيلومـترات مكونة مايشبه الزوايا الثلاث الحداد ولا أستبعد ان تكون سببا فـي تسـمية هـذا الوادي بتثليث .

الهوامش :

(١) لسان العرب لابن منظور .

(٢) صفة جزيرة العرب والإكليل (الهمداني) .

(٣) معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري .

(٤) معجم البلدان لياقوت الحموي .

(٥) عسير لمحمود شاكر .

(٦) تثليث لعمر العمروى .

(٧) مجلة الجنوب عدد ٣٣ رمضان ١٤٠٦هـ .

(٨) مجلة الجنوب عدد ٥١ ربيع الأول ١٤٠٨هـ .

(٩) محافظ تثليث الأستاذ : ثامر البقمي .

(١٠) مديرية الزراعة والمياه .

(١١) بلدية تثليث .

سنابل

أبها

فايز أحمد البكري

قد آن ندع العتاب فأجملي ‏ ‏ ‏ ‏ وردي علي بوجهك المتهلل
وتورعي عن لوم قلب حائر ‏ ‏ ‏ ‏ فلقد أجبتك بالحقيقة فاسألي
كم ذا ألاحق في السماء غيومها ‏ ‏ ‏ ‏ طورا تظللني وطورا تنجلي
ولع الفراق على المحب متيم ‏ ‏ ‏ ‏ وأشد منه ترقب المتأمل
فلنترك الماضي يسير بظعنه ‏ ‏ ‏ ‏ متحملا وهج الزمان الأول
فلقد نظمت قصائدي متفائلا ‏ ‏ ‏ ‏ وأرى بثغرك بسمة المستقبل
وأرى الدجى من نور وجهك مدبرا ‏ ‏ ‏ ‏ ومنى الحياة من العيون الأنجل
هذا كمال الحسن أجهر ناظري .... ‏ ‏ ‏ ‏ لا ليس يطمع من رآك بأكمل
حياك ـ أبها ـ كل طير صلدح ‏ ‏ ‏ ‏ حياك ـ أبها ـ كل غصن أميل
حياك رب البيت ما طلع الضحى ‏ ‏ ‏ ‏ وسجى ظلام الليل بالمتنقل
يصف الطبيعة في محاسن سحرها ‏ ‏ ‏ ‏ أنا ما أنا إلا حقيقة شاعر
ويشوقه العذب الزلال فينهل ‏ ‏ ‏ ‏ عشق الجمال بلهفة وتقبل
ويصور الماضي التليد سعادة ‏ ‏ ‏ ‏ ويرى البشاشة في الزمان المقبل
قلب يصوغ من القصيد قوالبا ‏ ‏ ‏ ‏ كالبلسم الشافي وشهد المنحل
ناديت يا عذب القوافي إنني ‏ ‏ ‏ ‏ قد نلت من أبها الجزيل فأجزلي
أرض قد اشتق البهاء من اسمها ‏ ‏ ‏ ‏ حتى غدت للحسن مضرب أمثل
وتسابق الشعراء في إطرائها ‏ ‏ ‏ ‏ فتكبرت وعلت على الوصف العلي

فهضابها وجبالها وسهولها كل يسابق للمقام الأجمل
حملت أناملي اليراع لتنتقي يليق بحسنها المتأصل
وصفا ووقفت في يوم بديع ممطر ألقي عليها نظرة المتأمل
فالسودة الحسناء من هتانه كسيت بثوب أخضر متسربل
وجرت مياه النبع في وديانها ليعل واردها بعذب المنهل
حيت بها المصطاف ألف تحية عبقت بأنواع العبير المرسل
وتفيأت أبها بفيء جبالها فغدت لها سترا وخير مظلل
ووقفت بالقرعاء منقطع الحجا أتمثل الأشعار أي تمثل
وحملت من دلغان شوقا صادقا تلك الخمائل حبها لم ينقل
تزهو مغانيها بخضر غصونها ويهب تيار النسيم فترفل
وأنخت بالجبل العظيم رواحلي في قمة شماء لم تتهلهل
جبل من الأنوار ألبس معطفا وسما بخضرته فلم يتبدل
ورأيت – أبها – طفلة وضاءة حسناء ترفل في الجواهر والحلي
وتلف حول الخصر تبرا ناصعا وكذاك لون حزامها المتأصل
هذا هو السحر الذي أسر النهى قد حل في قلبي فلم يتحول
أبها لقد نلت المحاسن كلها ولبست أثواب المفاخر فارفلي
يكفيك أنك قد ملئت مفاتنا فأسرت قلب الفيصل بن الفيصل
فحباك من مهج الفؤاد جواهرا بجزيل شعر في القريض مبجل
وحباك من عمل الأكف حدائقا ببديع رسم في الفنون مجلل
وأقمت في كنف الأمير عروسة فتجملي وتجملي وتجملي
...
وليكس وجه الأرض زهرا عابقا واكس الرياض بسوسن وقرنفل
ولتجر بالماء الزلال جداول ويفوح أزكى العود بعد الصندل
فلخالد أيد تسابق جودها أعطت لأبها فيضها لم تبخل
جعل الحضارة والتقدم سلما حتى تسامت في المقام الأفضل

تستقطب الزوار من كل الدنى ... فمصيفها الفينان أفضـل موئـل

لانت له شم الجبـال فعبـدت ... طرقا تـذل الصعـب للمتجـول

هذا قليل مـن كثـير جـاده ... أسد تربى فـي عريـن الأشـبل

شهم كريـم لا تعـد فعالـه ... وحفيد صقر من أشاوسة أولـي

فلتهن أبها في ظلال أميرهـا ... عيناه عنها لحظـة لـم تغفـل

تبقى على مر الزمان مصونـة ... فلنعم ساكنها ونعـم المنـزل

غريـــــب

محمد علي محمد العمري

غريب ظل يطربـــه الغريـــب ويســـعده التـــأود .. والنحيـــب
غريب في بلاد عـــاش فيـــها على رغـــد الحيـــاة أب نجيـــب
غريب مل دنيـــا وازدراهـــا وضاق عليه مبســـمها الرحيـــب
تزيد طـــرواة ويزيـــد خوفـــا فما فيها ــ وإن حسنت ــ مريب
أأطرب للحياة وليـــس فبـــها لســـيف الله خـــالده المـــــهيب
أأطـــرب للحيـــاة وأهتنيـــــها وذل المســـلمين لـــها يطيـــب ؟
أأطرب للحياة وتلـــــك ليلـــى وهـــذا وجـــه عفتـــها كئيـــب ؟
أنكس إن بدت نظري حيـــــاء فـــدرة عقـــد ليلانـــا صليـــب !
(غريب) قالها الأقصى فما تتعلـــى شـــفتيه : لا أحـــــد يجـــــيب
(غريب) غربة الإسلام فيـــه وقلبـــي بالدعـــاء لـــه خصيـــب
تصيح مآذن الإسلام فينـــــا : أليس لكم بـــه وطـــن ســـليب ؟
شفاه مدافـــع تدعـــو لســـلم ولا بـــدر هنـــاك ولا قليـــــــب

السقوط

أسامة أحمد مظفر

في أحد الشوارع الهادئة من هذه البلاد الآمنة ومع غروب شـمس أحـد الأيام بدأت الأحداث النهائية لمأساة أخلاقية ، كانت نتيجة الحسد والأنانية وسلبية المجتمع في التعامل مع مثل هذه المأساة .

فجأة ! انطلق صراخ سيارات الأمن وبدأ الرجال يجـرون هنـا وهنـاك ، ويمسكون ببعض أشباه رجال وبدأت عمليات اقتحام لأحد أوكار تدني الأخلاق فـي البلاد .

وانطلق من بين هذه الفوضى شاب نحيل تبدو عليـه علامـات وسـامة قديمة، وانطلق وراءه رجال الأمن ليخلصوا المجتمع من شروره . وبـدت عليـه علامات اليأس والتعب وشعر وكأنها بوادر خيانة من رجليه فلم تعـودا قـادرتين على الجري مسافة أطول من ذلك ، وبدأ يشعر بأنه على وشـك السـقوط علـى الأرض فلم يبق لنفسه قوة وطاقة لمثل هذه المواقف . حـاول المقاومـة لعـدة لحظات ، ولكن ! حصل ما كان يتوقعه فهيهات للمذنب أن يفلت مـن العقـاب . تجمع عليه رجال الأمن الأشاوس وعلى محياهم علامات الارتياح والفـرح فقـد نجحوا في تخليص المجتمع من أحد عناصره الفاسدة .

حاول الرجال إنهاض ذلك الشاب ولكن لا فائدة من المحاولة فلا حول لـه ولا قوة على الوقوف وقد أدركوا منه علامات الإغماء وفقدان الوعي . فطلبوا لـه

الإسعاف وحملوه في تلك السيارة الرحيمة وانطلقت به إلى المستشفى تصيح بمن أمامها ليفسح الطريق .

وفي الإسعاف أفاق ذلك المسكين على رؤية بعض رجال الأمن بجواره ، فحاول الهرب من فوره ، ولكن جسمه كان قد أعلن تمرده ورفضه عن القيام بأي أمر يشار به إليه . وفي لحظات يأس وندم ، بدأ شريط الذكريات ينهمر عليه فحاول إيقاف الشريط ولكنه أدرك عصيان كل شيء من حوله وعدم الرغبة في مساعدته ولو بأقل القليل فاستسلم لذكرياته ولزحف الندم والحسرة لقلبه الضعيف وبدأ يرى نفسه طفلا وسيما مدللا بين والديه فقد كان وحيدهما .

كانت تلك الأسرة المتوسطة الحال تعيش حياة هادئة مستقرة ، فرحة بما وهبها الله من الخير والنعم وكان أفضل ما في ذلك هو ذلك الطفل الجميل الهادئ البار بوالديه . كان متفوقا على أقرانه في ذكائه وأخلاقه وفي دراسته وجده ، وكان الناس من أصحاب وأقارب يحسدون تلك العائلة على هذا الابن بصفاته المتكاملة ويغبطونها عليه .

وفرت أسرته له كل وسائل الراحة والسعادة ، ورباه أبواه تربية دينية مستقيمة ، وكان سعيدا بذلك ، وكسب حب كل من حوله إلا بعض أصحاب النفوس الشريرة التي سيطر الحسد عليها وتمكن منها .

استمر ذلك الطفل السعيد في تقدمه وتفوقه حتى أنهى المرحلة الابتدائية وقد حقق المركز الأول في مدرسته وفرح به معلموه ـ فضلا عن والديه ـ فرحا عظيما ، واقاموا له احتفالا بذلك تشجيعا له .

تذكر الشاب ذلك الاحتفال وأولئك الناس والأقارب وكل منهم يهنئ والديه به ويغبطهما عليه ويدعو له بالتوفيق الدائم والمستقبل الزاهر ، فبدأت عيناه تدمعان ندما على تلك الأيام السعيدة ، يوم كان نجما ساطعا بين أقرانه ، ويوم

كان يتوقع له الجميع مستقبلا سعيدا زاخرا بالنجاح . ودمعت عيناه لما آل إليه حاله في ذلك الإسعاف لا يستطيع الحركة وكأن جسمه قد شل بأكمله محاطا برجال الأمن الحريصين على حماية المجتمع من شروره . حاول عند ذلك الألم وتلك الحسرة أن يعطل ذلك الشريط الذي أبى إلا الاستمرار في سرد الأحداث القديمة .

بدأ يكبر هذا الطفل ويترعرع وسط ذلك الحب والحرص على سعادته حتى شب وأصبح يطرق أبواب المرحلة التالية ـ مرحلة الفتوة والشباب ـ بدأ دراسته في المرحلة المتوسطة ومازال تفوقه يبهر من حوله حتى ظهرت له أعراض غريبة وأحوال محيرة ؛ فقد بدأ يشعر بآلام في سائر جسمه دون أن يتوصل الأطباء إلى تشخيص حالته ، وأصبحت تطارده الكوابيس حتى كره النوم وأحس بخمول وإعراض عن الدراسة بشكل لافت للنظر وتحول بره بوالديه إلى عقوق وصراخ .

احتار والده في أمره كثيرا وذهبوا به إلى عدة أطباء واستشاروا الأصحاب والأقرباء ولكنهما لم يتوصلا إلى حل لهذه المشكلة العجيبة ، وبعد محاولات هنا وهناك وعدة اقتراحات وتحليلات من الأصحاب اقترح أحدهم أن يجرب معه علاج الرقية بالقرآن ولكنه حذر من السحرة والدجالين فليس لديهم إلا النصب والاحتيال ولا تجد عندهم إلا المضرة وسوء الحال .

وبعد بحث طويل توصل والده إلى عنوان شيخ صالح يرقي الناس وقد تحقق على يده شفاء الكثيرين بإذن الله تعالى . وأخذ ولده إلى ذلك الشيخ رجاء في رحمة الله رب العالمين .

دخل الوالد بولده على الشيخ وشرح له الحال السيئة التي تحول إليها ولده المسكين . بدأ الشيخ بالرقية الشرعية وما هي إلا دقائق حتى بدأ الشاب يصرخ ويصيح ويتألم حتى صرع وتكلم الجني على لسانه وأفاد بأن الشاب قد أصيب

بسحر كاده له أحد الحاسدين ودفع المال للساحر الشرير ليغير سعادة الشاب ووالديه إلى تعاسة وشقاء حسدا وظلما من عند نفسه .

صدم الشاب ووالداه بهذا الخبر وأخذوا يبحثون في أعماق الذاكرة علهم يجدون أحدا قد وقع عليه ظلم أو ضرر منهم ولكنهم لم يجدوا فأدركوا أن فعل ذلك الشرير ما هو إلا حسد كامن في نفسه يحرقها ويحرق من حوله .

ساءت حال الشاب أكثر فأكثر حتى ترك الدراسة وجلس في البيت وبدأ العلاج مع الشيخ ولكن المدة طالت فاستعجل الوالد العلاج فقدمت له النصائح بزيارة أحد السحرة الدجالين فالعلاج عنده سريع . وهكذا بدأ الشاب بزيارة أولئك المشبوهين الذين يستنزفون ماله ويزيدون حاله من سيئ إلى أسوأ واستمر على ذلك مدة طويلة . وفي نهاية المطاف رجع إلى الشيخ الأول بعد أن علم بدجل وخداع أولئك الأشرار . وبعد زمن من العلاج والتوكل على الله جل وعلا تم الشفاء وفرح الجميع بذلك وتحسنت حال الشاب الصحية والنفسية وعاد إلى حاله الأولى من بره لوالديه . كان هذا الحدث السعيد بعد معاناة خمس سنوات من الحزن والألم .

بدأ التفكير بالعودة إلى المدرسة حتى ولو كان في مدارس خاصة أو يلتحق بالدراسة الليلية ، وبعد الجهود والمساعي تمكن الشاب من العودة إلى المدرسة وسعد الجميع بذلك وشعروا بأن ذلك كان نهاية المأساة .

بدأ الشاب بالانتظام في دراسته ولكن يبدو أن المأساة لم تنته بعد ، فقد اعتاد خلال السنوات الماضية على الراحة والكسل وسبب الانقطاع عن الدراسة له عدم الفهم والقدرة على الربط ، ووجد نفسه أمام زملاء أصغر منه سنا فأخذ بالبحث عن أصدقاء من سنه وعمره يشعر بالتكافؤ بينه وبينهم . وكانت هذه المشاكل الثلاث هي محور بداية المأساة الجديدة .

بدأت صحبته مع الشباب الضائع وانغمس معهم في الشر حتى إنه جرب التدخين بحجة أنه دليل الرجولة وأكثر من السهر واللعب مع أصحابه على أنها حرية شخصية وأسرف في عقوق والديه فهما يجبرانه على أعمال لا يحبها . وترك الدراسة وتغيب كثيرا حتى تم فصله من المدرسة . حاول الوالدان قصارى الجهود وتوسلا بشتى الوسائل ولكن لا حياة لمن تنادي فقد طغى شيطان الشهوة وتمكنت غواية الأشرار من نفسه .

وفي ليلة من الليالي طرق باب البيت طارق غريب فدهش الوالدان ؛ فلو كان ابنهما التعيس لدخل دون طرق الباب فمن يكون هذا الطارق ؟ ولماذا يطرق الباب بهذه القوة ؟ فإذا بالطارق عدد من رجال الأمن يطلبون تفتيش البيت فقد قبض على ابنهما وبحوزته بعض المواد الممنوعة تدعى بالمخدرات . صعق الوالد فمات من فوره وزادت المأساة تعقيدا وبقيت الوالدة المسكينة تعيش خليطا من الحزن والألم على فراق زوجها الصالح والحسرة على ابنها الضائع .

ومرت الأيام عليها حتى سمعت بخبر خروج وحيدها من السجن ففرحت فرحا شديدا وتاقت لرؤيته ، ومرت الأيام ولكنه لم يحضر إليها فشعرت بقلق شديد عليه .

وبعد فترة من الزمن طرق الباب طارق نظرت إليه من خلف شقوق بابها فإذا بشاب فيه بعض ملامح ابنها الذي تعرفه ففتحت لتتأكد من أمره فإذا به ابنها مع بعض التعديلات على محياه أضافتها إليه تلك النفس الشريرة التي تمكنت منه وحكمت تصرفاته.

فرحت به كثيرا وكادت نبضات قلبها تتوقف ولكنها تمالكت نفسها وعانقته عناقا حارا ولكن للأسف كان الشوق من طرف واحد فقط . أقنعت نفسها بأنه

معذور لأنه خرج من السجن قريبا ولا بد أن يعود لحاله الأولى بعد أيام من الراحة والاستقرار .

ظلت المسكينة تنتظر انفراج الأزمة وعودة الأيام السعيدة ولكن هاهو عاد إلى سيرته الشريرة من سهر وغياب عن البيت حتى بدأ بإدخال بعض الصناديق واللفافات الغريبة ، وكانت كلما سألته عنها يتهرب من الجواب أو ينهرها وينهاها عن السؤال . وبعد إلحاح شديد صارحها بأنها بضاعة يتاجر بها ففرحت فرحا شديدا فها هو ابنها بدأ يعمل بجد ونشاط وأخذت تدعو له بالتوفيق .

وبعد مدة من الزمن اكتشفت أن هذه البضاعة ما هي إلا مخدرات وسموم يقتل بها شباب الأمة ويدمر ثرواتها ويؤثر على اقتصادها . نصحته ولم ينتصح ، هددته بالفضيحة أو إبلاغ المسؤولين فهددها بالقتل . عاشت على تلك الحال حزينة مقهورة لا تملك له إلا النصح والدعاء ولا تقدر على أكثر من السهر والبكاء ، حتى تداركتها الرحمة الربانية وتوفاها الله وتخلصت من حياة القهر والأسى .

كان وقع الخبر على قلبه سارا جدا لأنه كان يرى في أمه عائقا له أمام عمله وتجارته الخبيثة ، ومن ذلك اليوم حول البيت الذي كان مباركا أيام والديه الصالحين إلى وكر له ولعصابته الأشرار . يتاجرون فيه بسمومهم ويتعاطون منها ليقتلوا أنفسهم بنفس السلاح الذي يقتلون به الأبرياء . وأخذ الوكر بالاشتهار بين الساقطين أمثالهم وزاد رواده من يوم لآخر . وأقام الحفلات الزاخرة بالرذيلة حتى نحل جسمه وتدهورت صحته وتعطل عقله .

وبدأ الجيران يشعرون بما يحصل داخل البيت ، وفاحت رائحة الإثم والفجور حتى تضايق الجميع من ذلك ولكن لحبهم لوالديه الصالحين ترددوا في

الإبلاغ عنه وترحموا على والديه . وأخذ الجيران بنصحه ولكن لا فائدة من ذلك ، ومنهم من عنفه على ذلك ولكنه اعتدى عليهم بكل قبيح قول وشتم حتى ضاق بـه جيرانه ذرعا وبأصدقائه فأبلغوا أمره إلى السلطات المسؤولة عن تخليص المجتمع من رذائل أمثاله وشرورهم .

وتمت مراقبة البيت حتى اتضحت الرؤيا لأولئك الأشاوس . وفعلا قـــرروا اقتحام البيت والقبض على من فيه وتخليص المجتمع من فجورهم ، وبدأ الإعــداد لخطة الاقتحام . ومع غروب شمس أحد الأيام ـ بينما كان ذلك الشاب يعربد مـــع زملاء السوء حيث إنه أكثر من الجرعة المخدرة في ذلـــك اليـــوم حتـــى أصيـــب بالإعياء ـ بدأت عملية الاقتحام وأخذ رجال الأمن بالقبض على أولئك الأشـــرار ، وفي أثناء ذلك انطلق الشاب هاربا وخلفه رجال الأمن يطاردونه ، ولكن هيـــهات للمجرم من نجاة . وانطفأت شعلة نار شره مع غروب ذلك اليوم .

انقطع شريط الذكريات عند هذه اللحظة فقد كانت نهايته في ذلك الإسـعاف ضعيفا لا يستطيع الحركة . ومع انقطاع الذكريات بدأ يحس بانقطاع أنفاسه ونهاية حياته البائسة . وبدأ السم الذي قتل به العديد من الضحايا يسري فـــي جســمه . وفي تلك اللحظة لم تحتمله الأرض أكثر من ذلك فقررت لفظه والتخلـــص منـــه . وأخذ من في الإسعاف في محاولة إنقاذه واتخاذ الإسعافات اللازمة واستسلم لــــهم ولنهايته التعسة .

وفجأة : وفي خضم ما حصل من استنفار لإنقاذه التفت إلى رجل من رجـل الأمن حوله وقال : أرجوكم ! اقتلوا كل ساحر !

اقتلوا كل مهرب ومروج !

امنعو شرورهم عن الناس !

هذه مهمتكم !

أرجوكم ! إذا نجوت فاقتلوني !

ولفظ أنفاسه الأخيرة وهدأت عمليات الطوارئ وجلس الجميع يخيم عليهم الصمت واستمر الإسعاف يشق طريقه في هدوء وسكينة .

رسائلكم

حفل بريد مجلة بيادر بالنادي الأدبي بأبها بالعديد من الرسائل .. حيث تدفقت رسائل كثيرة على المستوى المحلي والعربي تحمل العديد من المشاركات والاقتراحات والنقد ..

ونحن في (مجلة بيادر) نفتح صدورنا وصفحات مجلتنا لجميع القراء والقارئات، وانعد نجاح المجلة بالدعم الثقافي من الجميع ؛ فبيادر منكم وإليكم .. ونستعرض معكم بعض الرسائل ..

* الأخ محمد عزت عبدالحافظ الطيري عضو اتحاد كتاب مصر (جمهورية مصرالعربية)

** وصلت مشاركاتك (رحيل السوسن) و (قمر على بحر الضياء) ونشكرك على هذه الأعمال الفنية وهي باهتمامنا سواء المشاركات الأولى أو الأخيرة .. إلا أن بعضا منها لايتناسب مع سياسة مجلة بيادر .. ونرحب بك .

***

* الأخت الشاعرة : ذكرى حاج حسين (جمهورية سوريا)

** شكرا لكم على هذا الثناء المرسل من الشرق العربي .. ويسعدنا أن تكون بيننا هذه اللغة المبدعة كما سطرتم في رسالتكم . وقصيدتك (قفا نبك) جميلة جدا ونحترم الإبداع .. إلا أن سياسة مجلة (بيادر) لايتناسب معها هذا الشعر .. أعيدي المحاولة و(ياهلا بك) .. فمجلة بيادر منكم وإليكم .

***

** الأخت القارئة .. التي رمزت لاسمها (س ، ص) (الطائف) ..

* الموضوع الجيد يفرض نفسه .. ولافرق عندنا في أولوية النشر بين هـذا أو تلك .. شكرا على الملاحظة .. وأهلا بك صديقة للمجلة ..

شكرا لك يا أخ علي .. ونرحب بمساهماتك ونعدك بالنشر إذا كانت ***

** الأخ : سعيد علي الشهري (جدة) ..

* شكرا على ملاحظاتك ، وعبارات الثناء التي حوتها رسالتك عن التطور الذي شهدته مجلة (بيادر) ، ونأسف لعدم نشر محاولتك الشعرية .. المحاولـــة تنم عن موهبة شعرية .. بيد أنها بحاجة إلى صقل ..

***

* الأخ : عبدالعزيز محمد العسيري (أبها) ..

نحترم ما جاء برسالتك من خواطر جميلة عن منطقة عسير .. إلا أن هنــاك أخطاء لغوية وقعت فيها .. أعد المحاولة و (ياهلا بك) ..

***

* الأخ : علي صالح عبدالله (المنطقة الشرقية)

صالحة مع تقديرنا لثنائك ونبل مشاعرك نحو نـــادي أبــها الأدبــي .. وننتظــر مشاركتك ..

***

* الأخت : نورة الشهري (النماص)

الموضوع الذي أشرت إليه في رسالتك في تخصيص زاوية للمرأة في مجلـــة بيادر.. تأكدي أننا لن نكون ضد إبداع المرأة وسنظل حريصين على شــــعور

القراء والقارئات أينما كن .. ونرحب بمساهمات المرأة ونعدكم بنشر الصالح منه .. وننتظر الإبداع..

* * *

* رسالة من الأخت : بدرية عبدالرحمن الناصر (الرياض) ..

ترغب معرفة طريقة الاشتراك وقيمته وتود تزويدها ببعض أعداد المجلة .. ونحن بدورنا نرحب بالأخت (بدرية) وما عليك إلا توضيح العنوان البريدي لكم ، ونقدرلك اهتمامك..

* * *

* الأستاذ : عبدالله مسفر المعاوي (بيشة)

بعث برسالة مطولة يقول فيها :

يطيب لي أن أقدم لكم الشكر والامتنان على إصدار الاستطلاع الخاص (بمحافظة بيشة) في مجلة بيادر العدد العشرون وإظهار أدب وتاريخ بيشة .. أتمنى لكم النجاح والتوفيق .. وللمجلة الازدهار ..

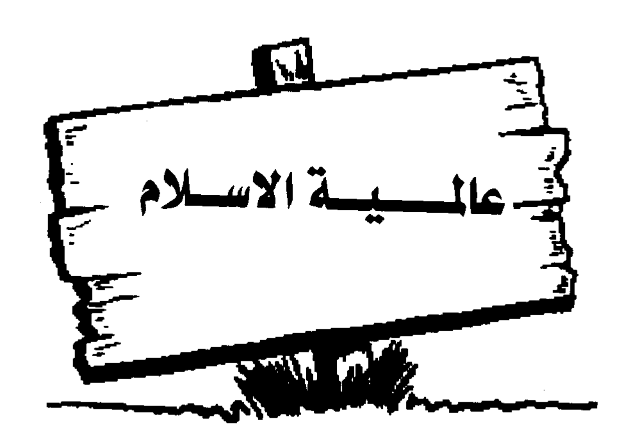
ونحن نشكر (المعاوي) على هذا الثناء .. ومشاركتك الجديدة في طريقها للنشر إن شاء الله ..

* * *

** الأخت : أم عبدالله (خميس مشيط) ..

(كلمات إلى أمي) .. تحمل شعورا صادقا لكن محاولتك كتابته شعرا حال دون نشره لأنه لم يستكمل شروط الشعر .. وفي انتظار مساهماتك الأخرى وشكرا..

قراءة في كتاب





قراءة في كتاب
عالمية الإسلام

للدكتور عبدالله بن هادي القحطاني

إعداد د. محمد يحيى الخراط

لا يخفى على أحد أهمية تنوع الجهود الفكرية في مجال الدعوة إلى الله وضرورة استثمار الحقول كافة والوقوف على كل ثغرة يمكن أن تخدم شؤون الدعوة ، وتبدو في عالمنا اليوم الكتابات الجادة باللغات الحية لتعريف أصحابها بدين الله وكونه دينا شاملا لجميع مناحي الحياة وأنه المنهج المناسب للإنسان .
وللدكتور عبدالله القحطاني رئيس قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الملك سعود / كلية التربية بأبها عمل طيب في هذا المجال يقع في مائة صفحة من القطع المتوسط باللغة الإنجليزية بدأه بمقدمة تحدث فيها عن تقدم وسائل الاتصال في العصر الحديث وأوجه التباين الحضاري والثقافي بين البيئات الحضارية والثقافية وأشار إلى النظام العالمي الجديد الذي يجتهد في فرض معاييره الجديدة ويعدها هي الأصلح لعالم اليوم وتساءل الدكتور القحطاني عن ماهية النظام الذي يستحق السيادة بجدارة ليكون نظاما عالميا يفرض وجوده ، وها هي الولايات المتحدة الأمريكية تمضي قدما لإشاعة نمط تفكيرها بما لديها من قوة تقنية وعسكرية وهيمنة على أروقة منظمة الأمم المتحدة .

وتحدث الدكتور القحطاني عن فشل النظام الغربي في تهيئة السعادة للفرد والمجتمع وعدم قدرته على حل مشكلات العالم المعاصر في قاراته المختلفة . فثمة مشكلات ملحة تواجه الأفراد والمجتمعات وليس ثمة نظام جديد يجيب عن الأسئلة المتتالية التي تبحث عن مخرج من هذا الضياع والتخبط الذي يجتاح العالم بعد أن جرب كثيرا من النظريات والمبادئ والعقائد ، فهل ثمة بديل مناسب ؟

ثم مهد الكاتب لبحثه بالحديث عن شروط العالمية المنشودة لحل القضايا الصعبة التي تهيمن بظلالها على العالم المعاصر . فينبغي أن نبحث عن نظام يحل المشكلات القائمة ويؤكد على بشاعة التمييز العنصري ويستبعد وجود نظام وقتي يساهم في حل مشكلات ظرف معين ، ويتحمل الفروق المتباينة بين الحضارات والثقافات ولا يناقض تقدم الإنسان في مجال العلوم التقنية والمهارات الأساسية ، فيكون المطلوب من هذا كله وجود أخلاق سامية تحافظ على التقدم العلمي وتحل المشكلات المزمنة الملحة كالمشكلات الأسرية والعنصرية والاجتماعية .

ثم بدأ الدكتور عبدالله الفصل الأول فقرر أنه ينبغي أن يخضع النظام العالمي المنشود إلى معايير ثابتة بغض النظر عن الجنسيات والألوان ، وهذا أمر مفقود في عالمنا المعاصر فقد كان للكنيسة تأثير كبير في افتقاد المساواة الحقيقية بين الناس واستشهد ببعض الدراسات التي تؤيد ما ذهب إليه ، ثم انتقل إلى اليهودية التي لا تخضع كذلك لمعايير ثابتة في تقويم الأشياء ، وتحدث عن النظام الهندوسي فوجد النتيجة نفسها ، ثم درس الرأسمالية وتساءل عن مدى خضوعها للمعايير الثابتة في التقويم حيث إنها غارقة في التمييز بين الطبقات والألوان . وانتهى الباحث إلى أن الإسلام قرر المساواة العالمية الحقيقية فكان ينظر إلى الأفراد نظرة مبنية على معيار التقوى في التفاضل ومدى القرب من الله وليس القرب من لون أو طبقة أو معيار مادي . واستعرض الدكتور القحطاني شواهد

عظيمة من الكتاب والسنة واقتبس بعض النصوص الاستشراقية من مستشـرقين منصفين من مثل المستشرق راماكشنيا Ramalrishna الذي كان هندوسـيا وأقـر بسمة المساواة التي يعلنها الإسلام .

أما الفصل الثاني فقد تحدث الكاتب عن مدى تحمل النظام العالمي الجديـد للتباين في المعتقدات بين الأفراد وأي نظام يدعي العالمية ينبغي لـه أن يتحمـل الفروق بين عادات الناس ومعتقداتهم . واستعرض شواهد تاريخيـة عـن مـدى تحمل الفوارق كالحروب الصليبية التي شهدت إبادة واستيلاء على بلاد المسلمين، وتحدث في المقابل عن فترة خضوع فلسطين للحكم الإسلامي حيث فتح عمر بـن الخطاب رضي الله عنه بيت المقدس واستجاب للسكان المحليين حيث وقع معـهم معاهدة السلام وأعطاهم أمانا في حرية العبادة وضمن حرية الاعتقـاد للنـاس ، وتحدث الباحث عن فترة الحكم الإسلامي في الأندلس وسماحة المسلمين في مقابل التعصب الشديد الذي أبدته المسيحية حين استولت علـى أجـزاء مـن الممـالك الإسلامية . وبعدها تطرق إلى شبه القارة الهندية وما عمله الإسلام في ربوعـها حيث نشر العلم والمعرفة في أجواء الظلمات والجهل وكفل للآخريـن حريتـهم . وثمة حقيقة ثابتة عن حقائق الإسلام وهي أنه لا يكره أحدا على اعتناق الإسـلام وأورد نصوصا من القرآن تدعو إلى مجادلة أهل الكتاب بالحسنى.

أما الفصل الثالث من الكتاب فقد خصصـه لحقيقـة أن النظـام العـالمي المنشود لا يتناقض مع التقدم العلمي والتقني الذي ينفـع فـي ارتقـاء الإنسـان وتفجيره لإمكانات الخير . وتطرق للديانات والمعتقدات الأخرى وكيف حاربت العلم والعلماء ، وضرب مثلا على ذلك بالبوذية والهندوسية اللتين تعنيـان الإخـلاص الكامل لعبادة الصنم والانعزال الكامل عن العالم المحيـط بـالفرد . ومثـل هـذه الفلسفات لا يمكن أن تنجح في تحقيق العالم المنشود للإنسان . وتحدث كذلك عـن

بعض الفلسفات الغربية التي أعطت الإنسان الحرية المطلقة ليحقق رغباته وشهواته كما يريد . وأشار إلى المكانة التي تبوأها العلم وحازها العلماء في الإسلام ، وتحدث عن أثر العلوم الإسلامية في أوروبا وكيف أمدت القوم بفيض من المعارف وأخرجتهم من الظلمات إلى النور ، وأشار إلى شهادات بعض المنصفين الغربيين الذين اعترفوا بمكانة العلماء في الإسلام وما قدمه هؤلاء للحضارة الغربية الحديثة وأحال القارئ على كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي " ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين " .

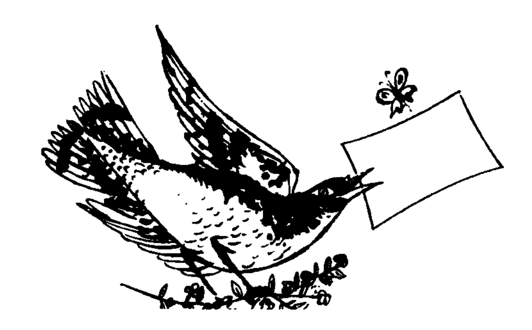
أما الفصل الرابع فقد قرر فيه أنه ينبغي للنظام العالمي المنشود أن يقدم حلولا لمشكلات الفرد والمجتمع كالإدمان على المخدرات والكحول والتفكك الأسري والكآبة المسيطرة على الأفراد ، فهل قدمت النظم المعاصرة شيئا للحد من هذه المشكلات ؟ ها هي أمريكا وأوروبا تفشلان فشلا ذريعا في ذلك على حين أن الإسلام قدم لهذه المشكلات حلولا جذرية وسعى في غرس بذور الإيمان في النفوس ، ثم أشار إلى فشو الجرائم في العالم المعاصر ففي أمريكا مثلا أشارت الإحصائيات أنه يحدث جريمة كل ثلاث ثوان ، فماذا قدمت أمريكا بما تملكه من إمكانات حضارية وعلمية وثقافية لحل مشكلة الجريمة ؟ وتحدث عن اضطهاد الأولاد والنساء والمسنين فهي من المشكلات المزمنة الخطيرة التي يعيشها مجتمع الغرب . أما الحل الإسلامي فقد شجع على بناء البيوت السليمة وحث على الزواج وطالب بالبعد عن مظان الفتنة واستعرض الكاتب بعض الإحصائيات الخاصة بالاغتصاب الذي يجري في المجتمعات الغربية .

وختم الدكتور القحطاني كتابه القيم عن مغزى دعوته إلى الأخذ بالنظام الإسلامي العالمي الذي يدعو إلى العناية بجوانب الإنسان كافة والابتعاد عن تضخيم جانب دون جانب وإنما يدعو إلى التوازن الإيجابي المطلوب ، وأكد الكاتب

على ضرورة العودة إلى المنابع الأصلية كالقرآن والسنة وتنبأ الباحث بأن القــرن القادم هو قرن الإسلام.

إن هذا الكتاب يعد ضميمة قيمة إلى المكتبة الدعوية باللغة الإنجليزيـــة ، ننصح بالإفادة منه بل وترجمته إلى لغات أخرى لتعم الفائدة منه لأنه يســـهم فـــي التوعية المنشودة وقد طبعته دار المؤيد عام ١٤١٦هـ .

ما قبل الوداع



الأدب في خدمة الحياة
ومذهب الفن للفن

علي حسن آل شعيب الشهراني

يصر كثير من كتاب وشعراء الحداثة على التأكيد على التزامهم المنـــهجي بمذهب الفن للفن .. والحقيقة أن هذا الالتزام لا يتمثل في نتاجهم شعراً أو نثراً .. بل إن بعضهم بينه وبين الإبداع مثل ما بين المشرق والمغرب .. وما إصرارهـــم علىالالتزام بهذا المذهب ادعاءً ودفاعاً .. إلا تغطية لهدفهم الأساسي وهو الانفلات من روابط العقيدة وتكاليفها.. وإضفاء صفة الإبداع على نتاجهم المتهالك والمغرق أحياناً في الغموض والإبهام إلى درجة مخجلة يحملون ذلك على مذهب الفن للفــن وأنه يجوز للفنان ما لا يجوز لغيره ..

ولعل المتمعن في الإبداع شعراً ونثراً يجده لا يخرج عن الكثير من نتـــاج الشعراء والكتّاب ممن يرون ويلتزمون مذهب " الفن للحياة " والشاهد في نتاجـــهم من شعر ونثر.. يجد فيهما المتذوق زاداً للعقل والروح .. ونتاجاً يسمو بـــالقرائح وبالتالي بالإنسان إلى مكارم الأخلاق ويسمو بالذائقة الأدبية لدى المتلقي إلى عوالم الفن الراقي والسمو بالعقل والوجدان إلى عالم الخيال والإبداع مثل إبداعات غازي القصيبي والسياب ونازك الملائكة وغيرهم الكثير من رواد الأدب الحديـــث وأدعياء الحداثة يعدونهم من الشعراء التقليديين .

وليت شعري .. ما هو الإبداع وصوره وأخيلته في شعر ونثر أدعياء الحداثة؟! بل أين الإبداع في قول بعضهم إنه يسف التراب .. ويشرب من مرق الأحذية المنقوعة ؟! إن مثل هذه الأقوال تدعو للغثيان ولا شك .. أما الإغراق في الغموض والإبهام فحدّث ولا حرج .. وأربأ بالقارئ الكريم أن ألوث ذائقته ببعض نماذج أدعياء الفن للفن فهي تصد النفس وتعكر المزاج[١] .



(١) هذا المقال يعبّر عن رأي كاتبه والمجال مفتوح للرأي الآخر إذا كان هناك من تعليق؟!


دار للطباعة والنشر
جدة
تلفون ٦٧٠٠٣٣٣